

في صحاح ابن عميرة

للدكتور أحمد عمار

أستاذ الولادة وأمراض النساء
بجامعة فؤاد الأول

obeikandi.com

تقديم

هذا كتيب جمع بين دفتيه طائفة من المقالات والأحاديث ينتظمها جميعا عنوان: «في صحة المرأة». كنت قد دعيت الى كتابتها في بعض الصحف أو القائها في المذياع . ولم يكن في نيتي أن أطلع القراء بها كتابا اذ هي ثم تعد لهذا الغرض ، ولم يراع فيها أن تحيط بالموضوع احاطة شاملة . ولكن كثيرا ممن قرأها أو سمعها من أفاضل الأصدقاء قد أحسن الظن بها ورغب الى . في أن أصونها من الضياع بجمعها في كتاب . وقد واثقتني على ذلك بعض الظروف فلم أتوان عن اتهازها استجابة لرغبتهم وعملا على مرضاتهم .

فإن ألك بهذا قد أرضيتهم فحسبي رضاهم . وإن يك في الكتاب نفع لقارئ أو قارئة في ثقافة أو صحة فنعم مضاعف الجزاء .

الركنور أحمد عماد

obeikandi.com

مقالات

نشرت في الصحف

obeyikahna.com

obeikandi.com

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى قَرِيبٌ

« ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن » • لله در ابن الدحداح وابن حضير وابن بشر فقد سألو النبي صلى الله عليه وسلم عما يتبع في أمر النساء في المحيض ، وقد كان العرب في المدينة وما حولها يفعلون كما يفعل اليهود من أفراطهم في مجانبة النساء مدة الحيض فلا يجالسونهن ولا يتواكلونهن ، حين كان النصراني لا يتخرجون من اتيان نساءهم في الحيض . فكان الجواب أن نزلت هذه الآية الكريمة قصدا بين هذا وذاك . وأمر الله باعتزال النساء في المحيض من حيث الجماع فحسب .

والمحيض والمحاض والحيض والطمث هو سيلان الدم من الرحم في دورة منتظمة فيما بين سن البلوغ حول الثانية عشرة أو الثالثة عشرة وسن اليأس حول الخامسة والأربعين الى الخمسين • والمحيض مصدر كأنجىء والمبيت والمغيب • وتسمى المرأة حائضا • وطامثا • وعاركا • وفاركا • وضاحكا • وكابرا • ودارسا • ودورة الحيض تتكرر ما بين ثلاثة أسابيع وخمسة ومتوسطها نحو أربعة أسابيع وتعتبر طبيعية ما دامت على وتيرة واحدة أى كل ٢٥ يوما أو كل ٣٠ يوما مثلا وتسمى دورة حيضية منتظمة • أما مدة الحيض نفسه فتتراوح من ثلاثة أيام الى خمسة أو ستة ، وقد تزيد وقد تنقص • وأما كمية الدم الذى يفقده الجسم في الحيض الطبيعى فتتراوح بين ٥٠ الى ١٥٠ سنتيمترا مكعبا من الدم وقد تزيد أو تنقص كذلك • والعبرة في الحيض أن يكون على وتيرة واحدة في المرأة الواحدة • أى متاثلا في دورته وفي مدته وفي كميته ، مع اختلاف يسير لما تقتضيه

بعض المؤثرات الخارجية الطارئة مثل ارتفاع الحرارة أو التعب أو الانفعال النفسى أو تغيير بلد الإقامة مما يحدث اضطرابا فى الحيض مرة أو اثنتين ، ولكنه يعود الى سيرته الأولى من الانتظام بزوال هذه المؤثرات الطارئة . كما قد ينقطع الحيض انقطاعا تاما لمدة دورة أو دورتين فى النساء اللاتي يرغبن فى الحمل رغبة شديدة أو يخشينه خشية شديدة . وقد تكون دورات الحيض مختلفة كل الاختلاف فى عشرين امرأة مثلا وكلهن مع ذلك فى حالة طبيعية .

ولعل القارىء لا ينسى أننا نتحدث عن الحيض الطبيعى فيما أسلفنا أما غير الطبيعى فيه الأعاجيب . فمن حيض منقطع انقطاعا تاما . الى حيض شديد مخيف يخيل الى من يراه أنه قد استنزف نصف دم المرأة كما يحدث فى بعض الأورام الليفية أو بعض الأكياس البيضية . الى حيض يخرج من الرحم كل شهر ولكنه لا يظهر خارج الأعضاء التناسلية وهو ما نسميه « الحيض الخفى » وينشأ من انسداد فى طريق سيلان الدم من الرحم كأنسداد فى غشاء البكارة ، أو انسداد فى المهبل أو عنق الرحم مسبب عن عيب خلقى أو إصابة أو عمل جراحى مخطئ .

أما ما يصاحب الحيض من الأعراض ولا سيما الألم فقد أفردنا له مقالا خاصا يراه القارىء تحت عنوان « عسر الحيض » .

ودم الحيض يخرج من الغشاء المخاطى الذى يبطن جسم الرحم ولا شأن فى ذلك لعنق الرحم مطلقا . ويخرج هذا الغشاء المخاطى نفسه مع الدم على صورة قطع صغيرة ممزقة سابحة فى دم الحيض . ثم يأخذ الرحم فى اعداد غشاء جديد للدورة الحيضية التالية ينمو من بقايا الغشاء القديم كما ينمو الزرع من جذوره بعد جصاده . فيزداد سمكه تدريجا وتنمو غدده وتفرز مادة مخاطية وتنتفخ الأوعية الدموية وتمتلئ بالدم . حتى

إذا حان موعد الحيض التالى تفجرت الأوعية الدموية فينزل منها الدم حاملا معه الغشاء الجديد كما تتفجر أنابيب الماء فى جدر حجرة مبطنه بالورق فيسيل منها الماء ويحمل معه هذه الغلالة من الورق التى كانت تكسو جدر الحجرة ثم تتكرر هذه الظاهرة العجيبة كل شهر الى أن يحدث الحمل فينقطع الحيض نحو تسعة أشهر الى أن يحل موعد الولادة ويستمر انقطاعه فترة أخرى - قد تطول وقد تقصر - فى أثناء الرضاعة ثم يعود الحيض الى الظهور فى دوراته هذه العجيبة .

ولعلى قد أثرت دهشة القارئ أو حفته الى التساؤل عن سر هذه الظاهرة المتكررة وعن وجه الحكمة فيها . زعم الأقدمون أن دم الحيض يخرج من جسم المرأة ليظهره من عناصر فاسدة تراكت به . وهو قول مردود لا يقبله العقل . والافلم اختص الله سبحانه وتعالى جسم الأنثى به ؟ والرجل لا يبيض وهو مع ذلك فى كامل صحته . ثم ان للمرأة والرجل كليهما أعضاء وظيفتها افراز المواد الفاسدة من الجسم هى الأمعاء والكليتان والرئتان والجلد . ولعل ذلك الزعم هو الأصل فى مجانبة اليهود للمرأة فى الحيض اذ كانت فى نظرهم نجسة غير نظيفة . أما الدليل القاطع على فساد هذا الرأى فهو النظر فى محتويات دم الحيض على ضوء العلم . فهو لا يختلف عن الدم الطبيعى الا فى احتوائه على مقادير أكبر من أملاح الجير (الكالسيوم) وعلى مواد مخاطية لا توجد فى دم الدورة الدموية وفى انه لا يخثر أى لا يتجمد اذا ما حفظ فى وعاء أو أنبوبة اختبار . وبيان السبب فى ذلك يقتضى بحثا ليس مجاله هذا المقال . وانك لتسمع أحيانا من العامة أن رجلا مات مسموما لأن زوجه دست له دم الحيض فى طعامه . وهو ضرب من الخيال اذ أن دم الحيض لا يحتوى على أية مادة سامة للانسان أو ضارة به . على انه قد تكون به مادة سامة لبعض النبات فالشاهد أن الأزهار المقطوفة تسرع الى

الذبول اذا قامت الحائض على أمر ترتيبها وتعهدها كما أن هناك نباتا مايا اسمه (Lupinus Albus) وهو نبات ينمو في الماء في ترف وسخاء . اذا أضيفت قطرات قليلة من دم الحيض الى ماء اناء به هذا النبات فان نموه يقف في سرعة ملحوظة .

والحقيقة في أمر الحيض أن الرحم يعد نفسه اعدادا عظيما في بطء وأناة لاستقبال ضيف عزيز يرجو أن يحل بساحته وما هذا الضيف الا بيضة يكون قد تم لها التلقيح فتجد التربة صالحة مهيأة فتحل بها على الرحم والسعة (وهذا هو الحمل) فاذا لم يقبل هذا الضيف في موعده المرتقب فان الرحم ينبذ ما أعده ويدفعه الى خارجه (وهذا هو الحيض) ثم يأخذ في اعداد العدة من جديد لعل الحمل يحدث في الشهر الذي يليه .

وهكذا نرى الرحم في مشغلة دائمة بهذا الاعداد الى أن يتاح له الحمل فينتزع الحيض ، تماما كما تعد وليمة لضيف تنتظره في موعد معين ثم تأتيك منه برقية في اللحظة الأخيرة ينبئك فيها أنه لن يستطيع الحضور وربما يستطيع ذلك بعد شهر . فيفسد عليك ما أعددته فتلغه . ثم تمد وليمة أخرى في الموعد التالي ولكن ضيفك ذا التيه والدل يعتذر من جديد وأنت دائب على اعداد ولا تأك هذه حتى يأذن الله فيوافيك ضيفك .

وعلى هذا فالحيض اقرار من الرحم بأنه أخفق في استقبال البيضة الملقحة أو بمعنى آخر اعتراف بأن الحمل لم يحدث بعد .

هذا هو الحيض أما « الاستحاضة » فهي نزول دم من الرحم في غير أوقات الحيض المنتظمة . وهي عرض لأمرض كثيرة تصيب جهاز المرأة التناسلي . وليس مجاله هذه الكلمة .

فل هو أذى

والأذى هو المكروه . والمقصود هنا ان الجماع في الحيض أمر مكروه كما يدل عليه باقى الآيه الكريمة . لأنه ضرر يصيب المرأة والرجل جميعا ، ضرر متعدد الوجوه متشعب النواحي .

فأما فى المرأة فمن المسلم به من الناحية الطبية أن مقاومة المرأة للأمراض تنقص الى حدها الأدنى فى أثناء الحيض فتكون أكثر تعرضا للعدوى اذا ما دخلت جراثيم الأمراض المهبل أو عنق الرحم . وهو أمر كثير الحدوث فى الجماع . اما فى غير أوقات الحيض فان هذه الجراثيم لا تستطيع الاعتداء على الجسم نظرا لشدة مقاومته .

وهو أذى للمرأة لأن الأعضاء التناسلية تكون محتقنة فى الحيض . فاذا أضيف الى هذا ما ينشأ عن الجماع من الاحتقان الشديد فقد يؤدي ذلك الى نزف ولا سيما اذا كان بالأعضاء التناسلية أورام أو التهابات . وهو أذى للمرأة لأنها تكون فى الحيض مضطربة الأعصاب . والجماع يحدث من الافعال النفسى ما يزيد فى هذا الاضطراب وربما منع ذلك نزول الحيض فتختل الدورة الحيضية بعد ذلك .

وهو أذى للمرأة لأنه قد يصددها عن الاختلاط الجنسى لما يحدثه أحيانا من الاشمزاز والنفور النفسى . وانى لأعرف نساء كرهن الجماع كراهية دائمة منذ أول عهدهن به ليلة العرس لما استقر فى أذهانهن من أنه عمل حيوانى غير مهذب لفعلة نايبة عن الذوق السليم أتاها أزواجهن . وهى صدمة نفسية يعرفها علماء النفس .

وهذا الأذى بعينه هو ما قد يصيب الرجل عند أداء الجماع فى الحيض ويزيد فى مقداره ما يصاحب الحيض من القدر وكرهه الرائحة أحيانا . وهو أذى للرجل لأنه يعرضه لالتهاب مجرى البول اذا ما تسرب

بعض دم الحيض اليه حاملا معه جراثيم الأمراض وقد يؤدي ذلك الى امتداد الالتهاب الى المثانة والحالبين والكليتين .

وهو أذى للرجل لأن الجماع في أثناء الحيض اسراف في الجماع من جانب الرجل في وقت مقطوع فيه بعدم حدوث الحمل — وهو كما تعلم الغرض الأسمى من الجماع — ووجه الأذى هنا انه يجعل الرجل ذا الحيوان المنوى الضعيف ، المحدود الحيوية والعدد ، غير قادر على احداث الحمل في وقته المناسب بعد الحيض . والحيض على كل حال يمكن اعتباره فترة استجمام للرجل أيا كانت قوته يكون بعدها أشد رغبة في الجماع ، وأكثر اقبالا عليه .

وبعد فاني أسأل الله أن يهديك أيها القارئ الى الخير ، ويصرفك عن الشر ، وأن يعصمك من الزلل ، وينزهك عن الأذى .

وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَن نَّكِدَ

هل تريد أيها القارئ الكريم أن أدلك على طريق من أسير الطرق للايمان بالله وبِعظيم قدرته وبديع خلقه ؟.

اذن فألق نظرة في علم الأجنة : انظر الى البيضة ذات الخلية الواحدة كيف تصير علقه ذات خلايا عدة ، ثم تصير العلقه مضغه ذات خلايا أكثر عددا .

وانظر كيف تصير هذه المضغه بعد ذلك جنينا صغيرا قد فصلت خلاياه الى طبقات ثلاث يخرج من كل طبقة منها مجموعة من الأنسجة متشابهة أول الأمر حتى اذا تم نموها واستواؤها وانخذت سمتها صارت مختلفة أشد الاختلاف ، ثم انظر كيف يتدرج هذا الجنين في بطن وفي اتساق عجيب ، فيمر في هذه السلسلة المنتظمة التي تمثل تطور الخليقة في سلم الارتقاء الذي يشمل جميع الكائنات الحية ، حتى اذا ما تهيأ له كامل نموه وتكوينه صار هذه الآلة الرائعة ذات الأذن المصغية والعين المبصرة والقلب النابض والعقل المدبر والأطراف المتحركة برأه باري الكائنات وأبدعه بديع السموات والأرض فتبارك الله أحسن الخالقين .

بل انظر كيف يرث هذا المخلوق من الصفات والملامح والألوان ما يرث على نهج ثابت لا يتغير وطبقا لقوانين الوراثة التي كشف عنها العلم الحديث . نصفها عن أبيه ونصفها الآخر عن أمه ، ولكن منها ما يسيطر على الآخر فيخفيه ، ثم انظر كيف تتماثل هذه الصفات والملامح والألوان في الأخوة الذين يحملهم هذا الرحم المرة بعد المرة ، مما يجير العقول ويخلب الأبواب . أما خلق الذكر والأنثى وكيف أن الله جلت قدرته يهب لمن يشاء ذكورا

ويهب لمن يشاء اناثا فهو عجب من العجب ، وان العلم — على ما بلغ من دقة البحث والاستقصاء -- لم يصل الى كنه ذلك بعد ، ولا يزال سره غامضا أشد الغموض . قال قوم من العلماء ان المسئول عن تقرير الجنس هو الزوج ولقد استطاعوا أن يتبينوا نوعين من الحيوانات المنوية نوعا صغيرا ونوعا أكبر حجما ، يفتج أحدهما الذكور والآخرا الاناث . وقال قوم بل ان هذه الحيوانات على نوعين يختلفان اختلافا كهربيا يجذب أحدهما الى القطب الكهربى السالب والآخرا الى القطب الكهربى الموجب ، وأن أحد هذين النوعين ينتج الذكور والآخرا الاناث . ترى هل يبلغ العلم من التقدم فى المستقبل مبلغا يدرك به التحكم فى نوع الجنين ؟ .

ولن ينقضى عجبنا اذا ما نظرنا بعد ذلك فى أمر التوائم وعن طريق مَنْ من الزوجين يكون حدوثها . فان التاريخ ليسجل فى معجماته الطبية أن هناك أسرا يتوارث اناثها ولادة التوائم على أجيال متعاقبة مما لا يدع مجالاً للشك فى أن عاملا كامنا فى البيضة هو الذى يسبب انتاج التوائم ومنها التوائم الثنائية والثلاثية والرباعية . ولكن اسمع قصة ذلك الفلاح الروسى « واسيلف » فلقد أنجب سبعة وثمانين ولدا كلهم توائم من زوجين اثنتين أنجبت زوجه الأولى أربع مرات فى كل مرة أربعة توائم وسبع مرات فى كل مرة ثلاثة توائم وست عشرة مرة فى كل منها توأمان ، وأنجبت زوجه الثانية مرتين فى كل منهما ثلاثة توائم وست مرات فى كل منها توأمان .

أه! كيف تحدث التوائم فان ذلك يكون بخروج بيضتين فى وقت واحد من المبيض بدلا من واحدة كما يحدث عادة ، أو بيضة واحدة من كل من المبيضين وهو أمر غير مألوف ، أو من بيضة واحدة انقسمت الى حويصلتين بعد تلقيحها . وتأتى التوائم الثلاثة من بيضتين انقسمت احدهما الى حويصلتين وبقيت الأخرى كما هى ، ويندر أن تأتى من بيضة

واحدة انقسمت الى ثلاث حويصلات مستقلة . وعلى هذه القاعدة يمكن تفسير التوائم الرباعية والخماسية . ولعلك تذكر أيها القارىء الكريم توائم كندا الخمسة الذين تنشر الصحف صورهم الجميلة بين حين وآخر . ومن الطريف أن نعلم أن التوأمين ان كانا ذكرا وأنثى فلا يشملهما غشاء واحد أبدا بل يكون كل منهما فى غشاء بذاته أما اذا جمعهما غشاء واحد فلا بد أن يكونا من جنس واحد وأن يكونا من بيضة واحدة . ترى هل يقوم قانون منع اختلاط الجنسين فى الأرحام ؟ .

وأما التوائم الملتصقة فهى توائم لم يتم انفصالها فى أثناء تكوينا انفصالا تاما فتبقى على درجة من الاتصال تزيد أو تنقص على حسب ظروف خلقها ونموها ، ومن الأمثلة على هذا النوع من التوائم توأما سيام المعروفان . وأما الأجنة الشاذة التكوين التى ترى من أنواعها كل عجب فلا يتسع المقام للحديث عنها فى هذه الكلمة .

والحمل العنقودى أو كما يسميه الأطباء الحمل الحويصلى من غرائب ما تحمل الأرحام كذلك . وهو نوع من الحمل يفسد فيه الجنين فيستحيل الى ما يشبه عنقيد العنب . عنقيد مكونة من حويصلات صغيرة مستديرة سابجة فى سائل دموى أحمر اللون تملأ فراغ الرحم . وسبب هذه الاستحالة هو انحلال فى أهداب التغذية التى تحيط بالجنين وكثرة فى خلايا هذه الأهداب ، فتزداد بغير ضابط وفى سرعة عجيبة ، فيصير حجم الرحم أكبر مما يكون عليه فى الحمل الطبيعى ويصبح أكثر رخاوة . ويصيب الأم نزف رخمى متقطع يتفاوت مقداره من قطرات قليلة الى نوبات نزف بالغ الشدة حتى ليكون أحيانا شديداً الخطر على حياتها ، وياليت الأمر يقف شره عند هذا الحد بل ان هذه الخلايا فى سرعة نموها تنقلب الى حالة عدوان على الرحم الذى حملها وغذاها ، فتسرب الى جدره ، ثم تغزو الجسم من طريق

الدورة الدموية وتستقر في موطن بعيدة عن الرحم كل البعد كالرئتين وتكون نوعا من الأورام الخبيثة كالسرطان يودى بحياة الأم .

الى أبل سمي

تبقى الأجنة في الأرحام مدة متوسطها ٢٨٠ يوما أو تسعة أشهر شمسية وأسبوع تبدأ من أول يوم لآخر حيض ، وحقيقة الأمر أن الحمل لا يحدث عند بدء الحيض ولكن بعد ذلك بنحو أسبوعين فتكون مدته الفعلية نحو ٢٦٥ يوما . ونحن اذ نقول هذا فانما نعنى متوسط مدة الحمل وقد لا نجد حالتين اثنتين ضمن مائة والدة تتفق مدتا حملهما تماما . وقد تقصر مدة الحمل فتسمى الولادة معجلة وقد تطول فتسمى الولادة مؤجلة . وينشأ عن الولادة المعجلة مولود لم يتكامل نموه فيكون أمه في الحياة بعد ولادته منقوصا ويواجه الحياة في صحة معتلة . أما الولادة المؤجلة فأهمية البحث فيها من ناحيتين : الأولى من الوجة الطبية الشرعية لتحقيق صحة بنوة المولود ، ويمكن معرفتها بازدياد طولها اذ يجاوز ٥٠ سنتيمترا وبواسطة الأشعة السينية (أشعة اكس) التي تظهر مراكز التعظم في عظام خاصة يعرفها الأطباء ، والثانية من حيث ما ينشأ عنها من عسر في الولادة بسبب ازدياد في صلابة عظام رأس الجنين يجعل مروره في قناة الحوض وقت الولادة صعبا أو مستحيلا . ولهذا ينبغي عندما نشك في أن الحمل قد جاوز أجله أن نتأكد بالفحص مرة أو مرتين كل أسبوع من أن رأس الجنين مازال محتمل المرور في فتحة الحوض . وربما اقتضى الأمر التحريض على الولادة بوسائل صناعية في الوقت الملائم .

أما لماذا تبدأ عضلة الرحم في الانقباض لتخرج الجنين الى هذه الحياة الدنيا فأمر لا يزال سره غامضا . وبعبارة أخرى : ماكنه تلك الاشارة التي

يتلقاها الرحم فيأخذ في الانقباض بشكل تلقائي لا سلطان لأحد عليه الى أن تتم الولادة؟! ذلك علمه عند الله .

قال فريق من العلماء ان الذى يمرض على الولادة هو تراكم ثانى أكسيد الكربون فى الدم حتى يصل الى مقدار ينبه المركز العصبى الذى يهيم على عضلة الرحم فيدفعها الى الانقباض . وقال فريق آخر ان تراكم مادة البتيوترين فى الدم هو الذى يمرض عضلة الرحم على العمل . وقال آخرون بل هو مجرد تمدد هذه العضلة وما تعانیه من الشد بسبب نمو الجنين المطرد . وقال غيرهم انه ضغط رأس الجنين على مجمع أعصاب الرحم عند عنقه . وقال فريق آخر انه شيخوخة المشيمة بسبب استحالة فى نسيجها بحيث لا تستطيع تغذية الجنين تغذية كافية فيصير الجنين كأنه جسم غريب عن الرحم فيأخذ الرحم فى طرده . . ويقول آخرون غير هذا وذلك .

فاذا لم تتوافر هذه الأسباب أو بعضها فى الوقت المناسب تأخرت الولادة عن موعدها وطالت مدة الحمل حتى لقد تبلغ ٣٣٠ يوما وهى أقصى مدة سجلتها المعاجم العلمية وأجازها الثقات من العلماء .

وبهذه المناسبة نقول ان ماروى عن الامام الشافعى رضى الله عنه من أنه لبث فى بطن أمه ثلاث سنين فتفسيره فى ضوء العلم أن أمه — طيب الله ثراها — حملت به على فترة انقطاع فى الحيض كانت قد طالت حتى جاوزت السنين فحسبت المدة كلها حملا فى امامنا العظيم .

المرأة بعد الأربعين

قد يبدو عنوان مقالنا في هذه المرة على شيء من الغرابة ، لأن القراء قد ألفوا من الكتاب حينما يعرضون للمرأة في القصص والوصف والشعر والغزل ، أن يعرضوا لها في صباها وشبابها حيث لا تزال في ربيع الحياة رطبة العود ، غضة الاهداب واهية الخصر ، مصقولة النحر ، هيفاء القد ، ملساء الخد ، ونراهم يذهبون في وصفها كل مذهب ويشبهونها بكل جميل في الطبيعة من الطير والزهر وغير ذلك .

ولقلما انصرف الكتاب أو العلماء الى هذا الجانب من حياة المرأة في دور كهولتها بعد الأربعين . بل لعلهم ان عرضوا له فانما ليصوروا فيه الأرض القاحلة لا تزكو بثمر أو شجر ، والصحراء المقفرة لا خضرة فيها ولا ماء ، والليل المظلم البارد لا ضوء فيه ولا دفء ، والدار الموحشة لا أنيس بها ولا سامر . ثم نراهم يتحدثون عن سن اليأس في المرأة حين تسرع بها الخطى نحو الخامسة والأربعين أو الخمسين ، فيبدر الى الدهن أن هذه هي سن الذبول والخبول واليأس من سرور الحياة وبهجتها . والحقيقة ألا يأس هناك ولا قنوط الا من وظيفة واحدة من وظائف المرأة ، هي في الواقع عبء كانت تحمله في فترة حياتها الخصبة ، فتخففت منه بعد هذه السن ، ونعنى به عبء التناسل ، وما يقترن به من وعكة الحيض وتعب الحمل وألم الولادة ومشغلة الرضاعة . وحسبك هذه السلسلة الطويلة وما يلازمها من الضيق والهم والقلق والانتزاع . وهذه الحلقة المفرغة التي لا تكاد المرأة تنتهي من أحد أدوارها حتى تدخل في دور آخر . ومن الحق أن نقول ان المرأة بعد الأربعين تكون قد قاربت الانتهاء

من أداء رسالتها من انتاج النسل فتستطيع بعد ذلك أن تفرغ لنفسها ولزوجها ، وأن تقوم بقسط أوفر من الحياة العامة وبنصيب أوفى من الشئون الانسانية ، والأمثلة أمامنا كثيرة على نساء سبقن الرجال في ميادين الخير والعمل الصالح ، وذلك راجع الى نضوج المرأة العقلي الذي يكون قد اكتمل وبلغ أوجه ، والى اتساع دائرة معرفتها ، وحسن درايتها بأخلاق الرجل ، والى خلوها من الحيض والحمل والولادة والرضاعة وما تقتضيها من الاحتجاب والنقه .

قلنا ان سن اليأس هي السن التي ينقطع فيها الحيض فلا يعود يظهر مرة كل شهر تقريبا . وكذلك لا يكون بعدها أمل في الحمل ، لأن المبيضين ينقطعان عن العمل فلا يخرج منهما ذلك الافراز الداخلى الذي يهيمن على الرحم فيسبب نزول دم الحيض في انتظام دورى . أما السن التي تبلغ عندها المرأة سن اليأس فتختلف اختلافا عظيما في النساء : فمنهن من ينقطع حيضها في سن مبكرة جدا حول الثلاثين أو قبل ذلك ، ومنهن من تبلغ الستين ومازال حيضها منتظما ، ولكن هذه الحالات نادرة في كلا الطرفين ، وتبلغ المرأة سن اليأس في معظم الأحوال فيما بين الخامسة والأربعين والخمسين من عمرها ، ومادامت المرأة دون سن اليأس فحملها ممكن . واني لأذكر أن خالي رحمه الله كان يكبر والدتي بخمس وأربعين سنة على ما ذكر لي هو ، وكان رجلا على جانب من التعليم يعرف ما يقول ، وكان هو بكر والديه وأمي صغراهما ، فاذا قلنا ان أمه ولدته وهي في نحو الخامسة عشرة فلا بد أن تكون ولدت أمي حول الستين . وفي حالات نادرة جدا يحدث الحمل بعد سن اليأس كما جاء في بعض المعاجم الطبية الصحيحة من أن امرأة اتقطع حيضها في سن الخمسين أنجبت ولدا عندما بلغت التاسعة والخمسين . والمشاهد أن النساء تتأخر بهن سن اليأس في حالات الأورام الليفية بالرحم .

وانقطاع الحيض في هذا الدور من حياة المرأة له طرائق ثلاث :
الأولى أن يكون على صورة مباغته حاسمة ، أى أن الحيض لا يظهر
في موعد نزوله ذات مرة ، فلا تراه المرأة بعد ذلك مدى الحياة .
والثانية أن تقل كمية دم الحيض تدريجاً المرة بعد المرة ، وكذلك تطول
الفترات بين حيض وآخر تدريجاً الى أن يقف نزوله آخر الأمر .
والثالثة أن يأتى الحيض على هيئة نوبات نرف قد يكون شديدا بالغ
الشدة في فترات متباعدة كأنها دورات الحيض ، الا أنها متباعدة عن
بعضها البعض ، غزيرة في كيتها . وهذا النوع الثالث كثيراً ما يسبب
الانزعاج لشدته ، كما أن الطيب يرقبه بعين الحذر اذ قد يكون عرضاً لأورام
خبيثة يبدأ ظهورها في هذه السن .

ويصطحب انقطاع الحيض بأعراض أخرى كثيرة في سن اليأس ،
ولكن من النساء من تمر بهذا الدور من أدوار حياتها مرافقاً هينا
لا تشعر معه بشيء من هذه الأعراض البتة . وأهم هذه الأعراض وأكثرها
مضايقة للمرأة ، فورات حرارية تأتي على صورة نوبات تحس المرأة فيها
بارتفاع في الحرارة وسخونة في الوجه والرقبة والصدر ، في موجة حرارية
كأن ماء ساخناً قد صب على رأسها صبا . ثم يصحب ذلك عرق واحساس
باختناق وضيق . وتمكث هذه النوبات فترات قصيرة ، ولكنها قد تطول
في بعض الأحيان ، وقد تعاود المرأة في أوقات قريبة بضع مرات كل يوم ،
كما انها قد تكون مرة واحدة كل بضعة أيام . وسبب هذه النوبات اختلال
عصبي في الدورة الدموية ينشأ من توقف المبيضين عن العمل .

ومن أعراض سن اليأس اضطراب في الحالة العصبية والنفسية ،
يبدو أكثر وضوحاً اذا كانت المرأة حادة المزاج قبل ذلك ، فهي قليلة
الرضى عن حو لها من أهل بيتها ، ضيقة بما يأتون وما يدعون ، كثيرة الهم ،
سريعة الغضب . وقد يؤدي بها هذا الاختلال أحياناً الى أمراض عقلية ،

ولكن هذا نادر لحسن الحظ . ومن الأعراض العصبية كذلك : الصداع وآلام الأطراف وخمولها، والاحساس بالضيق في المرء عند ابتلاع الطعام. ومن الأعراض ما يتصل بالقناة الهضمية على هيئة اختلال في شهوة الأكل أو خمول في عمل الأمعاء يفضى الى الانتفاخ والامساك .

أما الرغبة الجنسية ، فانها تقل في أغلب الحالات . ولكن هذه القلة تحدث تدريجاً ، وقد تستغرق سنين طويلة بعد سن اليأس ، كما انها قد تزداد ازدياداً واضحاً يفسر لنا ميل بعض النساء الى الزواج والتحبب الى الرجال في هذه السن . ولعل الشاعر كان قد تعلق بواحدة من هؤلاء حين قال :

تعشقتها شطاء شاب وليدها وللناس فيما يعشقون مذاهب
ويبدو على الجسم ميل الى السمن وقد يكون ذلك موضعياً ، أى لا يشمل الجسم كله . والبطن من الأماكن المحببة لتراكم الشحم في جدرانه ، مما يدعو أحيانا الى الاشتباه في وجود أورام بالبطن . ومن طريف ما يحدث للمرأة في هذه السن ، أن تعتقد أحيانا أنها حامل ، ولا سيما اذا كانت عاقراً أو قليلة الولد ، بحيث يصعب على الطبيب اقتناعها بأنها غير حامل ، وهو ما نسميه « بالحمل الكاذب » . ويزيد في اقتناعها بوجود الحمل تجمع الشحم في جدران البطن وتغير حالتها النفسية حتى انها للشعر بحركة الجنين على حد اعتقادها وكذلك يزداد حجم البطن بانتفاخه بغاز يتجمع في الأمعاء ، ثم يأتيها مخاض وهمي ، عندما تحسب أن الحمل قد بلغ نهايته ، فتحس آلاماً شديدة في البطن تشبه آلام الولادة . وقد يلتبس الأمر حتى على الطبيب . ولكن فحص بطنها تحت تأثير المخدر ، يضع الأمر في نصابه في سهولة تامة .

أما الأعضاء التناسلية ، فانها تضرر ويصغر حجمها تدريجاً ويشمل ذلك الأعضاء التناسلية الظاهرة والمهبل وعنق الرحم والرحم والمبيضين ،

وتترق الأغشية المخاطية التي تبطن هذه الأعضاء ، كما يقل افرازها وتصبح أكثر تعرضا للالتهابات لا سيما المهبل نظرا لفقدانه افرازه الواقي المفيد الذي يقتل جراثيم الأمراض اذا ما استطاعت دخوله .

أما علاج أعراض سن اليأس فكثيرا ما تكون هذه الأعراض هينة يسيرة تمر بها المرأة في يسر وسهولة . بل ان من النساء من لا تكاد تشعر بها اطلاقا ، ولكنها حين تشتد وطأتها فان علاجها يكون في أساسه باعطاء خلاصة المبيض بمقادير مناسبة يعرفها الطيب لكي تعوض الجسم ما فقده منها . وكذلك بالمليينات والمسكنات الخفيفة التأثير ، وقد تنفع أحيانا خلاصة الغدة الدرقية ، وهنا نحذر النساء من تعاطي المسكنات القوية خشية ادمانها . وكثيرا ما ينفع الرّوح عن النفس بتغيير المسكن أو بلد الإقامة .

على أن المرأة بعد أن تجتاز هذه الفترة القلقة من حياتها ، تعود سيرتها الأولى من الصحة الكاملة ، وتطيب لها الحياة ماشاء الله لها من طول العمر .

العقم في الرجال والنساء

يكاد العقم يكون أكثر ما يشغل بال المرأة أثناء حياتها الزوجية ويسترعى اهتمامها . وانه ليكفى أن يطلع المرء على ذلك العدد العظيم من النساء اللاتي يترددن على المستشفيات العامة يشكين العقم ليقنع بأهمية هذا الموضوع . ولا غرو فالتناسل وظيفة طبيعية من وظائف الانسان ، والأمومة عاطفة قوية من عواطف المرأة .

والعقم هو عدم القدرة على انتاج الولد ، ويحدث في نحو ١٠٪ من الأزواج ولا تسمى المرأة عاقرا أو عقيما الا بعد مضي ثلاث سنوات على الأقل من حياتها الزوجية دون أن ترزق بأولاد ، على أن تتوفر لها فرصة معقولة للاختلاط الجنسي . فمثلا زوجة البحار أو التاجر الجائل في البلاد أو ذى الحرفة التي تقتضى غيبته عن زوجه فترات طويلة ، مثل هذه الزوجة لا تسمى عاقرا حتى بعد مضي ثلاث سنوات في الحياة الزوجية . واذا علمنا أن الحمل يحدث من التقاء الحيوان المنوى بالبويضة وأن هذه تخرج من أحد المبيضين مرة واحدة في الشهر أدركنا أن الحمل هو كقول أمره الى المصادفة وانه لا يحدث حتما بالسرعة التي يتلهم عليها كثير من الأزواج . ولقد دلت الاحصائيات على أننا لو زوجنا مائة شاب صحيحى البنية والخصوبة ، مائة شابة صحيحات البنية والخصوبة ، لرأينا أن الحمل يحدث في بضع حالات قليلة في الشهر الأول وفي معظم الحالات خلال السنة الأولى وتبقى حالات لا يحدث الحمل فيها الا خلال سنوات بعد ذلك . ولذلك ينبغي أن ينتظر الأزواج باطمئنان حدوث الحمل الى أن يتاح لهم .

والعقم يصيب الرجال كما يصيب النساء ، ومن المقدر ان ٣٠٪ من حالات العقم سببها من الأزواج و ٧٠٪ سببها من الزوجات . وعلى ذلك لا يكون الفحص عن سبب العقم تاما الا اذا شمل الزوجين معا . وليلعلم القارئ ان البحث عن سبب العقم يقتضى دراسة طويلة قد تستغرق زمنا حتى يصل الطبيب الى معرفته وكثيرا ما تتردد السيدة على عيادات الأطباء فى سرعة وعجلة آملة أن تظفر فى زيارة واحدة بذلك العلاج السحرى العجيب الذى يشفيها من العقم فى الحال . فاذا لم يتحقق لها ذلك عند أحد الأطباء التمسست غيره وهكذا حتى تأتى على قائمة الأطباء دون جدوى فتتصرف الى ما يسمونه « الوصفات البلدية » أو الى التنجيم والشعوذة وما شابه ذلك بلا فائدة . وسرى الآن كيف ان العقم مسألة متشعبة النواحي ، متعددة الأسباب ، وانه قد يكون هناك أكثر من سبب واحد للعقم فى أحد الزوجين أو فى كليهما .

أسباب العقم فى الرجال

- ١ - الأمراض العامة المنهكة للصحة مثل البول السكرى وادمان شرب الخمر . وهذه الأسباب اما أن تمنع الرجل من القيام بوظيفته الجنسية تماما أو تؤثر فى حيوية الحيوانات المنوية أو فى غددها .
- ٢ - كبر السن : لما يحدثه من الضعف العام والضمور فى الغدد .
- ٣ - الأمراض الموضعية التى تمنع من تأدية الوظيفة التناسلية على وجهها الصحيح : مثل الناسور البولى والسيلان المزمن لما يحدثه من انسداد المسالك التى يمر فيها السائل المنوى . والأمراض التى تحدث تلقا أو ضمورا فى الغدد التى تفرز السائل المنوى (الخصيتان والحويصلتان المنويتان والبروستاتا) .
- ٤ - أسباب متعلقة بالحيوان المنوى : وهذه تكون الغالبية العظمى لعقم الرجال . وتكون اما نقصا فى عدد هذه الحيوانات أو انعدامها

بتاتا أو نقصا في حيويتها وقدرتها على الحركة أو تشويها في أشكالها .
وينبغي أن نعلم كمية السائل المنوي وان كان به خلايا دموية أو صديدية .
ثم عدد الحيوانات في كل سنتيمتر مكعب من السائل وهل هي منتظمة
الأشكال . فان كان بعضها مشوها فما نسبتها الى الحيوانات السليمة .
ثم عدد الساعات التي تبقى فيها متحركة في الظروف الملائمة لحياتها .
ويقدر عدد هذه الحيوانات بنحو ٨٠ مليوناً في كل سنتيمتر مكعب وقد
يزيد كثيرا عن ذلك . وربما أثار هذا العدد دهشة القارئ ولا سيما اذا
علمنا أن التلقيح لا يحتاج الا الى حيوان واحد من هذه الملايين الكثيرة .
ولكنها الطبيعة تسرف في الاحتياط بهذا العدد الضخم لكي تضمن بقاء
النوع . ذلك لأن معظم هذه الحيوانات يهلك قبل أن يصل الى حيث
البيضة تنتظر في البوق (بجانب الرحم) . وليس مدهشاً بعد ذلك أن
نعلم أن عدد هذه الحيوانات اذا هبط الى أقل من ٥٠ مليوناً لكل سنتيمتر
مكعب أصبح الرجل عقيماً على الأرجح . أما حيوية هذه الحيوانات فتتأثر
بصحة الرجل بصفة عامة ، وكذلك بنوع غذائه وبعدهد مرات الاختلاط
الجنسى . وهذه نقطة بالغة الأهمية لأن معظم الأزواج يفرطون في الجماع
اذا ما استبطأوا حدوث الحمل فتكون النتيجة نقصاً في عدد الحيوانات
المنوية وفي قدرتها على التلقيح وينشأ عن ذلك عقم سببه شدة الرغبة
في التنازل .

أسباب العقم في النساء

من المعلوم أن الحمل يحدث بأن تخرج البيضة من أحد المبيضين مرة
في كل شهر فتذهب الى البوق (والبوق قناة ضيقة بين المبيض والرحم .
بوق أيمن وبوق أيسر) وتبقى فيه الى أن يلتقى بها حيوان منوي واحد
فيحدث ما يسمى التلقيح وهو بدء الحمل . ثم تمر هذه البيضة الملقحة

الى تجويف الرحم حيث تنفوس فيه وتنمو نموها الطبيعي . فاذا حدث ما يمنع خروج البيضة من المبيض أو ما يعوقها من المرور في البوق الى الرحم ، أو ما يمنع الحيوان المنوى من الوصول الى البوق أو اذا كان الرحم مكانا غير صالح لنمو البيضة الملقحة ، حدث العقم .

وعقم النساء مطلق ونسبي . فالمطلق هو الذى لا يشفى كأن يكون هناك عيب خلقى فى الأعضاء التناسلية لا يمكن التغلب عليه . والنسبي هو الناشئ عن مرض قابل للشفاء ، وأسبابه كثيرة يمكن تقسيمها الى أسباب عامة وأسباب موضعية .

الأسباب العامة

- ١ - الحالة النفسية : تحدث أحيانا عند المرأة حالة نفسية تجعل الجماع غير ممكن لما تحدثه من التشنج فى عضلات المهبل . وربما كان ذلك ناشئا عن كره للزوج أو كره للعملية الجنسية .
- ٢ - الأمراض العامة المنهكة للصحة كما فى الرجال : على أن من هذه الأمراض ما يكون العقم معه نعمة ووقاية لصحة المرأة .
- ٣ - كبر السن : تتراوح الفترة الخصبة من حياة المرأة بين سن البلوغ (١٣ أو ١٤ سنة) وسن اليأس (حوالى ٤٥ سنة) حيث ينقطع الحيض والنسل . ومن المشاهد انه اذا بلغت المرأة سن الأربعين دون أن تحمل فإن أملها فى الحمل بعد ذلك يصبح ضعيفا . أما النساء اللاتي قد حملن من قبل هذه السن فانهن يحملن بعد سن الأربعين الى أن يبلغن سن اليأس وقد يكون هذا فى سن الخمسين أو بعد ذلك .
- ٤ - اختلال افراز الغدد الصماء : قد يحدث العقم لا سيما الغدة البدرقية والغدة النخامية والمبيضان لأنها تعمل معا كجموعة واحدة . فاذا اختلت وظيفة احدها اختل توازن المجموعة كلها ونشأ عن ذلك العقم .

٥ - البدانة المفرطة : هذا سبب ظاهر يعرفه كثير من النساء لأن البدانة فضلا عن تأثيرها في خروج البيضة من المبيض فانها تدل على نقص في افراز الغدد .

٦ - البرودة الجنسية : هي أن بالمرأة نقصا من حيث الاشتهاه الجنى فلا تخرج البيضة من المبيض على ما يعتقد بعض العلماء .

٧ - التنافر التناسلى : هذا من المشاهدات العجبية التى نراها أحيانا وهو أن يحدث العقم لزوجين مدة طويلة تنتهى بالطلاق ثم يتزوج الزوج بأخرى وتتزوج الزوجه بآخر فيحدث النسل فى الحالتين . ولقد حار الباحثون فى تعليل ذلك . ولكن السبب الحقيقى لا يزال بعيدا عن علمنا ولم يجاوز الحد النظرى . فقلد قيل انه تنافر بين الحيوان المنوى والبيضة بحيث لا ينجذب اليها فلا يتم التلقيح . وقيل أن كلا من الزوجين يكون خصبا ولكن الى درجة تزيد قليلا عن الحد الأدنى بحيث ان اجتماعهما لا ينتج الخصوبة الكافية للنسل ، ولكن اذا اتخذ كل منهما زوجا آخر قوى الخصوبة حدث الحمل بسهولة .

الأسباب الموضعية

الأسباب الموضعية كثيرة جدا لا يتسع لها المقام فى مقال كهذا ولا يعرفها بطبيعة الحال الا الطبيب المختص ويكفى هنا أن نقول ان أى مرض أو شذوذ خلقى فى الأعضاء التناسلية قد يحدث العقم .

عقم الطفل الواحد

هو عقم يحدث بعد أن تلد المرأة مرة واحدة . وسببه فى الغالب اصابتها بعد الولادة بحمى النفاس مما يثأ عنه انسداد فى البوقين . وأحيانا يكون السبب ضمور الرحم ضمورا شديدا عقب الولادة . وهناك سبب آخر لهذا

النوع من العقم وهو العدوى بالسيلان لأنه قد يحدث التهابا في البوقين يعقبه انسدادهما . وهذا يبين لنا أهمية علاج السيلان قبل أن يمتد شره الى البوقين . وعلى ذكر مرض السيلان نقول ان الزهري قد يحدث العقم في الرجال اذا أصاب الجهاز العصبي أو اذا أتلف الخصيتين ولكن هذا سبب نادر للعقم . وأكثر ما يحدثه الزهري هو الاجهاض ، والاجهاض يمكن اعتباره في الحقيقة نوعا من أنواع العقم لأنه عدم قدرة على النسل .

علاج العقم

يتضح لنا مما تقدم أن علاج العقم ليس بالأمر الهين الذي يمكن الاجابة عليه في كلمة واحدة أو بوصف دواء واحد . لأنه لا بد من معرفة السبب أو الأسباب التي تكلمنا عن بعضها ثم التوفر على علاجها . أما العلاج فيشتمل على النقاط الآتية :

أولا : فحص الزوج وهل به مرض عام أو موضعي . ثم تحليل السائل المنوي بدقة .

ثانيا : فحص الزوجة من حيث الأمراض العامة والأمراض الموضعية .

ثالثا : تدرس حالة الزوجين من حيث قيامهما بالوظيفة الجنسية على وجهها الأكمل .

وسأذكر هنا بعض النصائح التي يحسن بالزوجين اتباعها :

١ - يحسن بالزوج أن يتجنب الافراط في الاختلاط الجنسي بقدر المستطاع فان كان هناك افراط وجب أن يتمتع بتاتا مدة شهر أو اثنين . وخير وسيلة لذلك أن يقضى هذه الفترة بعيدا عن زوجه . ولتقا، شاهدنا حالات حدث فيها الحمل بمجرد العودة الى الحياة الزوجية بعد فترة اقطاع كهذه .

٢ - أفضل أوقات الاختلاط الجنسي لحدوث الحمل هو الأسبوع الذي يقع في منتصف الدورة الحيضية تماما أى المدة بين حيض وآخر . فإذا بدأ الحيض في أول يناير مثلا على أن يعود ثانيا في ٢٨ يناير فإن البيضة تخرج من المبيض في اليوم الرابع عشر ويكون الأسبوع المتوسط الذي نوهنا عنه هو من يوم ١٠ الى ١٨ يناير. ويلاحظ أن الجماع عقب الحيض مباشرة أو قبله مباشرة يكون عقيما في الأغلبية العظمى من الحالات .

٣ - الماكل : ينبغى أن نبحث نوعه ولا سيما في الطبقات الفقيرة ، أو الطبقات المترفة التى تتبع نهجا خاصا في غذائها ابتغاء الرشاقة . فقد يكون سبب العقم نقصا في بعض المواد الغذائية . وخير طريقة لذلك أن نسأل الزوجين أن يدونا ما يتناولانه من ألوان الطعام في أسبوع أو اثنين لنطلع على ما قد يكون فيه من نقص في النوع أو الكمية . وخير الأطعمة لهذا الغرض المواد الزلالية والقشدة والفاكهة في ابانها والخضر . وكذلك الفيتامين الخامس هـ (E) فانه مسئول عن بعض حالات العقم اذا نقص مقداره في الجسم .

وأختم كلمتى هذه بأن أقول انه مع التسليم بوجود حالات غير قابلة للشفاء ، الا أن أغلبها مستطاع علاجه اذا أخلص الزوجان في الاهتمام بالأمر والأخذ بوسائل العلاج الناجمة .

عُسر الحيض

عسر الحيض عرض يصيب كثيرا من النساء، لا سيما البنات قبل الزواج فيعوقهن عن مزاولة أعمالهن مدة الحيض أو بعضها . ويترتب على ذلك ضياع جانب من جهودهن تفقده الأمة من إنتاجها . ومن الخير أن ينصرف اهتمام الطبيب الى العناية بعلاج هذا العرض البغيض ، لا لتخفيف وطأة الألم عن المصابات به فحسب ، ولكن لزيادة قدرة الأمة على العمل في شتى نواحيه .

ومن المسلم به أن الحيض يكون في طبيعته مصحوبا بقليل من الألم ، لأنه مقرون دائما بانقباض في عضلة الرحم لتتمكن من طرد ما بداخله من الدم . ولكن احتمال هذا الألم يختلف كثيرا باختلاف النساء فمنهن من نحتمل عشرة أمثال ما لا نحتمله أخرى . ومن هنا يتبين أن من الصعب وضع تعريف لعسر الحيض أو للحد الذي نقول عنده أن هذا الحيض طبيعي وهذا مؤلم . ولكن القاعدة أن الحيض يكون ألما أو عسرا ، اذا كان فوق طاقة البنت أو المرأة . أو اذا ألزمها الفراش فمنعها من مزاولة عملها اليومي ، كل واحدة بحسب طبيعتها ومقدار ماتتحمله من الألم دون شكاة أو مضايقة شديدة .

قلنا ان عسر الحيض عرض وليس بمرض قائم بذاته . فالمرض مجموعة أعراض وعلامات ، وله مميزاته التي يعرفه بها الطبيب ، فيميزه عن غيره من الأمراض . أما العرض فليس الا مظهرا من مظاهر المرض . وقد لحدته أمراض كثيرة مختلف بعضها عن بعض تمام الاختلاف ، ومختلفة في علاجها تمام الاختلاف كذلك . والآن نستطيع أن ندرك أن الدواء

الذى يشفى الواحدة من ألم الحيض قد لا ينفع الأخرى . كما نستطيع أن ندرك أن تعاطي المسكنات كعلاج لعسر الحيض ان هو الا علاج عرضى يكون غير ناجح فى أغلب الأحيان ، ولا بد من تعرف المرض الذى أحدث عسر الحيض . وهذا لا يكون - بداهة - الا بمعرفة الطبيب .

لماذا يحدث الألم

يتوقف حدوث الألم أثناء الحيض من الوجة النظرية على عوامل أربعة : أولها أن عضلة الرحم مكلفة بالانقباض لكى تطرد الدم من فراغ الرحم . وانقباضها هذا يكون أكثر ايلاما كلما كانت هذه العضلة أضعف فى تكوينها ، كما تتألم عضلات الذراع الضعيفة اذا ما رفعت جسما ثقيلًا عن الأرض ، وكلما كانت الذراع أقوى ، كان ألمها أقل عند رفع هذا الجسم الثقيل . وثانيها شدة امتلاء الأوعية الدموية التى تغذى الرحم بالدم ، وهو ما نسميه الاحتقان . وهذا يضغط على جدر هذه الأوعية فيؤلمها تماما كما يؤلمنا التجمع الصديدي (الخراج) لأنه يضغط على ما حوله من الأنسجة . وثالثها ان الجلط الدموية التى تتكون فى فراغ الرحم تتزاحم فى الخروج من قناة عنق الرحم الضيقة . وكلما زاد حجم هذه الجلط أو زاد ضيق قناة عنق الرحم زاد مقدار الألم . ورابعها عامل نفسى ينتاب المرأة أثناء الحيض فيجعلها أشد احساسا بالألم فى أى جزء من أجزاء جسمها . فمن كانت تشكو ألما فى أسنانها مثلا أو فى أذنها أو مفاصلها . فان ألمها يشتد أثناء الحيض .

أما من الناحية العملية التطبيقية فينقسم عسر الحيض الى نوعين رئيسيين هما : عسر الحيض الأولى أو الذاتى ، وعسر الحيض الثانوى أو الطارىء . وثمة نوع ثالث هو عسر الحيض الغشائى .

عسر الحيض الذاتي

يكون أكثر ما نجده في البنات قبل الزواج ويسمى ذاتيا ، لأن الأعضاء التناسلية تكون عادة في حالة طبيعية اذا أتيج لنا فحصها . ويتميز هذا النوع بأنه ألم يبدأ عند بدء الحيض ويستمر فترة تختلف من بضع ساعات الى يوم أو اثنين ثم يأخذ في الزوال قبل نهاية الحيض . ويكون على هيئة منغص حاد متقطع أى يذهب ويجيء . وقد يكون مصحوبا باسهال . ونجده بوجه عام في أربعة أنواع أو نماذج من البنات :

١ - فمن المريضات به هذه الفتاة المثقفة ، الصحيحة الجسم . الكثيرة القراءة ، المحبة للعزلة . وهذه تكون عادة كثيرة الاهتمام بذاتها . دائمة التأمل في حالتها الصحية « مركزية التفكير » على حد تعبير علماء النفس . هذه الفتاة تشكو كثيرا عسر الحيض وعلاجها أن ينصرف اهتمامها وتفكيرها الى دائرة أوسع من دائرة جسمها ، وذلك بأن تزاول نوعا من أنواع الرياضة البدنية ، أو تشغل بعمل يلهمها عن نفسها بعض الشيء .

٢ - ومنهن الضعيفة البنية ، المفرطة التحافة ، الفقيرة الدم ، الشاكية الامساك . هذه يزول عنها ألم الحيض بعلاجها بأنواع المقويات ، وبالتغذية الحسنة ، وبالملينات .

٣ - ومنهن من تكون غددها الداخلية مختلفة غير متناسقة العمل مع بعضها البعض . وهذه تكون في الغالب سميئة مترهلة ، محدودة الذكاء بليدة الحسن ، قليلة الانتاج ، ناقصة الأنوثة ، قليلة كمية الحيض ، بعيدة ما بين الحيضتين . ويكون علاجها بتنشيط الغدد المختلفة بعد أن تعرف عليها .

٤ - ومنهن ذات الرحم الصغير الحجم الطويل العنق الشديد الاثناء على ذاته . وهذا لا يعرفه بطبيعة الحال الا الطبيب بعد الفحص . والعلاج انما يكون بتنشيط وظيفة المبيضين ، حتى يتكامل نمو الرحم فيتخذ شكله

الطبيعى . وكلما كانت المريضة صغيرة السن ، كان العلاج أجمع .
ويكون العلاج عظيم الفائدة قبل سن الحادية والعشرين ، محدود الفائدة
بعد هذه السن .

عسر الحيض الطارىء أو الثانوى

يكون أكثر ما نجده فى النساء بعد الزواج والحمل والولادة ، لأنه
ينشأ عن مرض عضوى يصيب الأعضاء التناسلية ، كالاتهابات والأورام
ونحو ذلك . ويتميز هذا النوع بحدوثه قبل الحيض بفترة قد تكون
بضعة أيام ، ثم يخف عند بدء الحيض ولكنه قد يصاحبه طول مدته .
وهو يختلف عن النوع الذاتى فى أنه ألم عميق غامض متصل . ويمكن
القول بصفة عامة ، ان المريضة بهذا النوع من عسر الحيض تكون
فى الحقيقة معتلة الصحة من ناحية أعضائها التناسلية طول المدة بين حيضة
وأخرى ، ولكن اعتلالها يكون أكثر وضوحا قبل الحيض وفى أثنائه . ومن
الواضح أن علاج هذا النوع لا يكون الا بعد الفحص الطبى الدقيق
لمعرفة السبب ثم علاجه بمختلف الوسائل . وكثيرا ما يحتاج الأمر الى عمل
جراحى لاستئصال ورم أو كيس ، أو اصلاح انحراف فى الرحم ،
أو غير ذلك .

عسر الحيض الغشائى

هذا نوع من عسر الحيض قائم بذاته لا يدخل ضمن التقسيم السابق
لتفرده بميزات خاصة به وهو يصيب البنات أو النساء العواقر (اللاتى
لم يلدن) ويتميز بأن ألمه بالغ الشدة ، حتى لقد يصل بالمريضة به أحيانا
الى حد محاولة الانتحار . وكذلك بأنه يصطحب بخروج جسم من الرحم
مستطيل الشكل على هيئة السمكة الصغيرة ، وقد يكون هذا الجسم

على هيئة قطعتين تخرجان من الرحم الواحدة بعد الأخرى . أما سبب الألم الشديد فانقباض في عضلة الرحم لكى تطرد هذا الجسم ، اذ يمر ببطء في قناة عنق الرحم الضيقة . وعندما يتم خروجه يزول الألم تماما . وأما هذا الجسم فهو الغشاء الذى يبطن الرحم ، يفصل من جدرانه كتلة واحدة (وليس على أجزاء صغيرة كما يحدث فى كل حيض طبيعى) وينطوى على نفسه ، فيكون على الشكل الذى وصفناه ويتوهم كثير من النساء أنه جنين صغير أجهض به . وقد يتوهمن ، أن الحمل كان توأميا اذا خرج هذا الغشاء على شكل قطعتين . ويزيد فى توهمهن ، أن الحيض كثيرا ما يتأخر عن مواعده فى هذه الحالات . فيزعمن أنهم مصابات باجهاض متكرر آيته الألم الشديد وخروج ذلك (الجنين) المستطيل الشكل الأبيض اللون . ومنهن من تطيل النظر اليه ، فتحسب أن له رأسا وعينين ويدين ورجلين . . . والنساء يرتحن عادة الى هذا الزعم . لأن الاجهاض حمل لم تتكامل أشهره ، وهو على كل حال خير من العقم المطلق .

أما علاج هذا النوع من عسر الحيض ، فبطيء . ويكون باصلاح الاختلال فى افراز المبيضين . ولكنه كثيرا ما يحقق أو يكون قليل الفائدة . وقد يحتاج الأمر الى استئصال الرحم كله . وهو علاج يحمل فى طياته — كما ترى — اعتراف الطب بعجزه حين يلجأ الى استئصال العضو اذا عجز شفاؤه .

علاج عسر الحيض

لقد أدرك القارىء الآن أن علاج عسر الحيض لا يمكن أن يخضع لعقار واحد أو لنوع واحد من الطباب ، وذلك لتباين الأسباب التى تحدثه . ويمكن أن نقول فى كلمة واحدة : أن علاج عسر الحيض هو علاج سببه . ولكن هناك بعض قواعد تنطبق على معظم الحالات ويمكن الاستعانة بها لتخفيف ألم الحيض الى أن يتسنى علاج سببه وهى

١ - مزاوله الرياضة البدنية : تنفع معظم حالات عسر الحيض كالمشي والسباحة والألعاب الرياضية والخروج الى الهواء الطلق .

٢ - الاستحمام بالماء الدافئ : يخفف من الاحتقان الذي يصيب الأعضاء التناسلية في فترة ما قبل الحيض . وليكن يوميا قبل النوم في الثلاث أو الأربع الليالي التي تسبق الحيض . ويمكن وضع قليل من مسحوق الخردل في ماء الاستحمام بمقدار ما يؤخذ بين أصبعي السبابة والابهام فهذا يساعد على تخفيف الاحتقان بواسطة تحويل الدم من الأعضاء التناسلية الى سطح الجسم .

٣ - المليينات : مثل المانيزيا بمقدار ملعقة كبيرة قبل النوم في نفس الأيام التي تسبق الحيض ، وهي مفيدة فائدة الاستحمام في تخفيف احتقان الأعضاء التناسلية .

٤ - المقويات : كالحديد وخلصه الكبد وما إليها ، تنفع الضعيفات المصابات بفقر الدم .

٥ - المسكنات : هذه لا تنصح ب مداومة تعاطيها ، لأنها تكسب المرء عادة سيئة ضارة بالجسم ، ولأن تأثيرها يتناقص تدريجيا فيحتاج المدمن عليها الى مقادير أكبر وأكبر الى أن تفقد فائدتها في تسكين الألم فتلجأ المريضة الى تجربة نوع آخر من هذه المسكنات ، وهذا يفقد تأثيره بدوره كذلك وليحذر النساء استعمال حقن المورفين في مثل هذه الحالات خشية تعودهن على تعاطيه ولا بأس من تناول قرص أو اثنين من البلادينال أو البلافولين أو ما جرى مجراها لتخفيف شدة انقباض عضلة الرحم عند الضرورة .

وبعد ، فلاتهوني يا سيدتي من شأن عسر حيضك ، فقد يكون الانذار الأول لمرض ذى بال تتولينه بالعلاج قبل أن يستطير شره . ولا تعتمدى على دواء تجربته صديقتك ، فلقد علمت أن العلاج الحاسم لا يكون الا بعلاج أصل العلة ، بعد أن يتبين الطيب أمرها فيتم لك الشفاء .

التحكم فى الحمل . دواعيه ووسائله

أود أن أرد عن الأذهان بادية ذى بدء خطأ يقع فيه كثير من الناس اذ ينظرون الى الحمل نظرة خوف وارتياب أو يزعمون أنه لا يتفق ومقتضيات الحياة المتحضرة أو أنه يفسد جمال الجسم واعتدال القد . وانك لتجد هذا الخطأ شائعاً بين المترفين وذوى اليسار ومن أفاء الله عليهم نعمة الصحة .

والحمل عمل صالح يصح به الجسم لأنه وظيفة طبيعية من وظائفه . بل انه يدرأ عن الجسم كثيراً من العلل التى يتعرض لها العوانس والعواقر كأورام الرحم الليفية واختلال وظائف المبيضين وآلام الحيض وانحراف الرحم عن وضعه الطبيعى . وكذلك فان الحمل والولادة لا يؤثران فى جمال القد أو شكل البطن أو استدارة الثديين لا سيما اذا التمس الوالدات الانتفاع بالعلم الحديث وما بلغه فن الولادة من تقدم . هذا الى جانب النعمة الكبرى التى جعلها الله قرّة أعينهن وهى الأولاد .

ولست أعنى بما قدمت اباحة الحمل اباحة مطلقة ، فتوقيه أمر حسن فى بعض الحالات لأنه يمكن الأم من استرداد عافيتها تماماً بين ولادة وأخرى ، ويحدد عدد الأولاد بما يناسب المستطاع فى أمر تربيتهم والاتفاق عليهم عند ذوى الموارد الضيقة ولا عبرة بما يحتج به المتزمتون من ان اباحة موانع الحمل تدعو الى الاسراف فى استعمالها لأنه مع تسليمنا بوجاهة ما يذهبون اليه الا أن تحديد النسل له ما يسوغه فى بعض الأحيان .

أما منع الحمل بصفة دائمة فانما يكون لمسوغ طبي تقتضيه صحة الأم كالسل الرئوى المتقدم وبعض أنواع الزهري والبول السكرى الشديد الوطأة والأمراض العقلية وبعض أمراض القلب والكساح وبعض أمراض الكليتين والأمراض التى تنتقل بطريق الوراثة . ففى هذه الحالات يكون الحمل معناه تعريض الأم لخطر محقق يجب حمايتها من شره .

وسائل منع الحمل

لمنع الحمل وسائل عدة • تتفاوت في درجة ضمانها ولكن ليس بينها ما يعتمد عليه اعتمادا كاملا محققا ويمكن تقسيمها الى :

- (١) وسائل آلية •
- (٢) الوسيلة الطبيعية أو « فترة الأمن » •
- (٣) الاستعصام الجنسى •
- (٤) التعقيم الجراحى •

الوسائل الآلية

تشتمل الوسائل الآلية على : الغلاف الواقى • غطاء عنق الرحم • الحاجز المهبلى • الغسل المهبلى • الأقراص المهبليّة • الامناء الخارجى • الحلقة المعدنية وما كان على شاكلتها • وجميع هذه الوسائل لا يخلو من بعض العسر والضيق بدرجات متفاوتة •

١ - الغلاف الواقى : يصنع من المطاط الجيد عادة • ولا شك أن استعماله من ضمن الوسائل لمنع الحمل لولا ما يطرأ عليه أحيانا من التمزق وما يصاحب استعماله من تحديد اللذة الجنسية • ولا ضرر منه بتاتا على صحة الذكر أو الأنثى ما دامت العملية الجنسية تبلغ غايتها عند كليهما • ويخطىء من يعتقد أن استعماله يعرض المرء للأمراض العصبية فذلك لا يحدث الا اذا كان الاشتواء الجنسى لا يصل الى غايته ثم يتكرر حدوث ذلك فترة طويلة من الزمن • ويخطىء كذلك من يعتقد أن السائل المنوى ذو فائدة للأنثى لأن غشاء المهبل لا يستطيع بحكم تركيبه أن يمتص شيئا من هذا السائل ، وما هذا السائل الا أداة تسبح فيها تلك الكائنات الصغيرة المسماة بالحيوانات المنوية •

٢ - غطاء عنق الرحم: يصنع من المطاط على شكل قبح القهوة. ويكاد يقرب في فائدته من الغلاف الواقى بشرط أن يكون جيد الصنع ليس

به مسام تنفذ منها الحيويونات المنوية وأن يكون محكما على عنق الرحم •
وألا يدخل في تركيبه أية مادة معدنية والا فهو ضار بالجسم لما يحدثه من
احتقان عنق الرحم • وأن يكون قاعه بعيدا قليلا عن عنق الرحم حتى
لا يمنع المفرزات الرحمية من الخروج من الرحم • وينبغي عند استعمال
هذه الأغذية أن تبقى في مكانها بعد انتهاء الجماع فترة لا تقل عن أربع
ساعات حتى تكون الحيويونات المنوية قد ماتت بسبب حموضة المهبل
ثم تنزع من مكانها وتطهر بالغليان قبل استعمالها مرة أخرى • ويحسن
ألا يعمل الغسل المهبلي مع استعمال هذا الغطاء لتلا يزحزح عن مكانه •
وطريق استعمال هذا الغطاء أن تجلس المرأة القرفصاء وتمسك الغطاء
بأصبعيها جاعلة فوهته الى أعلا وتدخله في المهبل مطبقا الى أن يصل الى
عنق الرحم فتلبسه عليه كما يوضع الطربوش على رأس رجل علق من رجليه
ورأسه الى أسفل • فتحيط حافة الغطاء السميكة بعنق الرحم وتلتصق
به بأحكام نظرا لرتوبته •

٣ - الحاجز المهبلي : هو قرص مستدير من المطاط ذو حافة مرنة
سميكة يدخل مطبقا بواسطة الأصبعين في المهبل ثم يترك فيعود الى شكله
المستدير ويبقى مكانه فيحجز السائل المنوي من التسرب الى عنق الرحم •
وهو أقل ضمانا من الطريقتين السابقتين كما أنه يجد من اللذة شيئا ما •
ويجب أن يبقى مكانه في المهبل بعد الجماع لنفس المدة التي جاء ذكرها
عند الكلام عن غطاء عنق الرحم للسبب عينه • ويطهر بالغليان بين كل
مرة وأخرى •

٤ - الفسل المهبلي : هذه طريقة غير مأمونة العاقبة إذ أنه لا يمكن
التأكد تماما من أن الفسل قد تناول كل ثنايا المهبل وتعاريجه وأخرج
كل ما به من السائل المنوي • كما انه يجب عمله بعد الجماع مباشرة
ولذلك ينبغي تجهيزه من قبل • وتستعمل لذلك الأحماض الضعيفة كحامض
اللبنيك أو الخل أو حامض البوريك لكي تساعد على قتل الكائنات المنوية •
ومما يزيدنا ريبا في هذه الطريقة أن من العلماء من يعتقد أن الحمل
حينما يحدث فانما يكون بطريق اندفاع السائل المنوي في فتحة عنق

الرحم مباشرة وليس بطريق استقرار هذا السائل في المهبل أولاً ثم تسريه تدريجياً إلى عنق الرحم ، فلو صح هذا الرأي لكان شأنا في الغسل المهبل شأنا من يبحث عن اللص في دهليز المنزل بينما اللص قد نفذ إلى إحدى الغرف الداخلية يؤدي عمله فيها باطمئنان .

٥ - الأقرص والعجائن المهبلية : مكونة من الأحماض الضعيفة التي أشرنا إليها في الغسل المهبل مضافا إليها مواد تحدث فقائيع تفتح ثانيا المهبل لكي تتغلغل الأحماض إلى كل أجزائه فتقتل الكائنات المنوية . وهي تستعمل قبل الجماع مباشرة . ونظرا لسهولة استعمالها فهي محببة إلى الناس ولكنها لا تضمن منع الحمل بمقدار ما تضمن الربح للعاملين على رواجها .

٦ - الأماناء الخارجى : هذا طريق لا ينبغي أن يعتمد عليه في منع الحمل إذ أن بعض السائل الذى يشبه السائل المنوى قد يخرج من الذكر أثناء الجماع فيحدث منه الحمل . كما أن مداومة استعماله ضارة بالصحة لما يترتب عليها من الاختلال العصبى والنفسى وما يعقبها أحيانا من الاحتقان فى الأعضاء التناسلية فى الذكر والأنثى .

٧ - الحلقات المعدنية وأشباهاها : هى حلقات مرنة أو مسامير أو دبابيس مصنوعة من الذهب أو البلاتين أو غير ذلك . تدخل فى الرحم بواسطة الطبيب وتترك فيه بصفة دائمة . ولقد ذكرت هذه الطريقة هنا لكى أحذر الناس من استعمالها بتاتا لأنها بالغة الضرر ويكفى أن أذكر ضمن ما تحدثه من المضاعفات التهاب الرحم المزمن والأمراض العصبية .

الوسيلة الطبيعية أو «فترة الأمان»

هذه وسيلة طبيعية من وسائل منع الحمل قد تبلغ فى فائدتها مرتبة أحسن الطرائق الآلية التى سبق ذكرها . وهى وسيلة لا مشقة فيها ولا مضايقة . وأساسها أن الحمل يحدث عند خروج البويضة من أحد مبيضى المرأة وهذا يحدث مرة واحدة فى كل دورة حيضية فى منتصف المدة بين حيضة وحيضة . فإذا كانت الدورة الحيضية ٢٨ يوما مثلا خرجت البويضة فى اليوم الرابع عشر (حاسبين من أول يوم من أيام الحيض)

وكان هذا اليوم أكثر الأيام ملاءمة لحدوث الحمل وكذلك اذا وقع الجماع خلال الأربعة الأيام السابقة لهذا اليوم لأن الحيوان المنوى يستطيع البقاء حيا في بوق المرأة حتى تأتية البويضة فيلقحها . كما يجوز أن يحدث الحمل اذا وقع الجماع خلال الأربعة الأيام التالية لهذا اليوم لأن البويضة تستطيع البقاء صالحة للتلقيح تنتظر وصول الحيوان المنوى . وعلى هذا الأساس تكون فترة حدوث الحمل من اليوم العاشر الى اليوم الثامن عشر . وتكون باقى أيام الدورة الحيفية بمثابة فترة آمنة للجماع دون حدوث الحمل . وهذه القاعدة صحيحة فى أغلب النساء . ولكن هناك نساء لسن ذوات دورات حيفية منتظمة وهناك نساء لسن على انتظام تام فى موعد خروج البويضة من المبيض . كما ان هناك نساء تحظى كل دورة من دوراتهن الحيفية بأكثر من بويضة واحدة .

الاستعصام الجنسى

هو الامتناع عن مزاولة الجماع . وهو أمر قد يضيق به الشباب والأصحاء . والامتناع الجنسى غير ضار فى ذاته الا أن يكون هناك عوامل تثير العاطفة الجنسية فعندئذ يكون ضارا بالجسم لما فيه من كبت للعاطفة . ولذلك فلا نشير به كوسيلة حميدة من وسائل منع الحمل .

التعقيم الجراحى

هو اجراء جراحى يمنع حدوث الحمل مدى الحياة . ولا يلجأ اليه الطبيب الا بعد دراسة وافية لظروف كل حالة على حدة . ولا بد من قيام سبب دائم واضح يسوغ منع الحمل . وللتعقيم الجراحى وسائل أحسنها ربط البوقين أو بتر جزء من كل منهما حتى تقطع الطريق الذى تسلكه البويضة أو الحيوان المنوى فلا يكون بينهما لقاء ومن ثم لا يحدث الحمل . وبعد فعلى أيها القارىء لم أشبع رغبتك فى الاهتداء الى وسيلة أكيدة لمنع الحمل ولكن عذرى عندك ان ما أدركه العلم فى هذا الباب لا يزال بعيدا عن حد الكمال .

يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ

قَرَأَنَّا

ليس في قدرة الطب في عهده الحاضر أن يتنبأ بنوع الجنين قبل ولادته ، رغم ما يبذله العلماء من جهد لتحقيق هذه الغاية . ولقد كان أول ما خطر لبعضهم أن زعموا أن أحد المبيضين تنتج بويضاته الذكور وأن الآخر تنتج بويضاته الاناث . ثم قرنوا هذا الزعم بالحقيقة المقررة ، وهي أن أحد المبيضين يفرز بويضة واحدة في منتصف الدورة الحيضية والآخر يفرز بدوره بويضة أخرى في منتصف الدورة التي تليها . وهكذا يتناوبان افراز البويضات في هذا النظام الدقيق . أى أن المبيض الواحد يفرز بويضة واحدة كل دورتين حيضيتين أى كل شهرين تقريبا ، فلو صح ما زعمه هؤلاء الزاعمون من أن أحد المبيضين ينتج الذكور والآخر الاناث أمكننا التحكم في نوع الجنين في بساطة تامة . فمثلا اذا كان آخر مولود أنثى فان أول دورة حيضية بعد الولادة تكون بويضتها بدها من المبيض الآخر أى الذى ينتج الذكور . فيكون التلقيح في هذه الدورة منتجا للذكر وفي الدورة التي تليها للانثى وهكذا . ولكن تبدد هذا الحلم الجميل ، اذ ثبت فساد هذا الرأى بما لا يقبل الشك . . لأننا اذا استأصلنا أحد المبيضين من جسم المرأة — وهو مما يلجأ اليه الجراح في كثير من الأحوال — فان المبيض الآخر ينتج الذكور والاناث جميعا .

ثم رأى بعض العلماء ان نبضات قلب الجنين تكون أسرع في الأنثى منها في الذكر ، وهذا صحيح . . غير أننا اذا علمنا أن عدد هذه النبضات يتراوح في الدقيقة الواحدة بين ١٢٠ و ١٦٠ نبضة ، وانها بجانب ذلك تتأثر بعوامل طارئة كثيرة ، أدركنا وجه المشقة في الاستدلال بهذه العلامة على نوع الجنين .

ثم ظن بعض الباحثين أن نوع الجنين انما يتقرر من نوع الغذاء الذى تتناوله الحامل أو مما اذا كانت البويضة عند تلقيحها حديثة العهد بالخروج من المبيض أو مضى عليها بعض الوقت منذ خروجها هذا . . كل هذه احتمالات لم يؤيدها البحث الصحيح .

والآن تلوح فى الأفق العلمى بارقة أمل لتحقيق هذه الأمنية . ويسرنى أن أسجل هنا أن صاحب الفضل الأول فى هذا البحث الجديد هو أحد زملاء المصريين اسمه الدكتور نجيب رياض اذ كشف فى أوراق البردى أن أسلافنا المصريين القدماء كانوا يعرفون نوع الجنين من بول الحامل يعد استخدامه فى انماء بذور القمح والشعير فى تجربة سهلة ميسورة فهدها هذا الى تجربة استخدام هذا البول فى الحيوان بدلا من النبات ، بحقن بول الحامل فى بعض صغار ذكور الحيوان كالأرانب والجرذان ثم فحص خصاها تحت المجهر (الميكروسكوب) لمعرفة نوع التغير الذى طرأ على خلاياها . وخرج من بحثه هذا بأنه يستطيع أن يقطع برأى فى معرفة نوع الجنين . وسنده العلمى أن الجنين الذكر يفرز مادة خاصة (هرمونا) تختلط بدم الحامل فتتفرز فى بولها فتؤثر فى خصى ذكور الحيوان فتستحثها الى نمو مبكر يظهر واضحا تحت المجهر .

أما عن امكان تحويل الجنين من ذكر الى أنثى أو العكس ، فان هذا غير مستطاع لأن الذكورية أو الأنوثة صفة أصيلة كائنة فى الجنين منذ أول تكوينه أى منذ أن اتصل الحيوان المنوى بالبويضة وهو ما نسميه التلقيح . والبويضات كلها على نوع واحد . أما الحيوان المنوى فعلى نوعين . وهما وان كانا شقى خلية واحدة ومتماثلين تماما فى الشكل وفى نصيب كل منهما من تلك القطع الصغيرة التى تنحل اليها نواة الخلية الأولى الا أن أحدهما مذكر الصفة والآخر مؤنثها .

فان أردت الدخول فى الأمر بشىء من التفصيل فاعلم أن الخصىة تحوى

ملايين من الخلايا ، مدخرة لكي تنقسم كل منها عند الاقتضاء الى قسمين يسمى كل منهما عندما يتكامل تكوينه حيوانا منويا . وقيل انقسام هذه الخلية تتحول نواتها المستديرة الى ما يشبه الجبل الطويل المتعرج . ثم يتقطع هذا الجبل الى أربع وعشرين قطعة متساوية تسمى الكروموسومات . كل منها يشبه العصا الصغيرة . ثم تنشق كل عصا من هذه العصا الصغيرة الى شقين متساويين يذهب كل منهما الى أحد طرفي الخلية ، ثم تنقسم الخلية نفسها الى قسمين يصير كل منهما حيوانا منويا ، ويحوى كل منهما عددا متساويا من هذه الشقائق . ولكن قطعة واحدة من هذه القطع الأربع والعشرين هي المنوطة بالنوع أى بالذكورة والأنوثة . وعندما تنشق الى شقيها يكون أحدهما مذكر الصفة يجعل الحيوان المنوى الذى يحتوى عليه مذكرا . والشق الآخر مؤنث الصفة يجعل حيوانه المنوى مؤنثا .

ومن هنا يظهر لنا فى وضوح أن التذكير والتأنيث أمر مقرر منذ تلقيح البويضة بأحد هذين النوعين من الحيوان المنوى . ولا سبيل الى تغيير نوع الجنين بعد ذلك . أما اذا استطاع العلم فى المستقبل أن يفصل نوعى الحيوان المنوى أحدهما عن الآخر دون أن يتناولهما بسوء فعندئذ نستطيع التحكم فى نوع الجنين . وسبحان من يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور .

obeikandi.com

أحاديث

أُقيت من دار الإذاعة

١ - الحامل . مآكلها وملبسها ورياضتها

طلبت الى دار الاذاعة أن أحدث النساء حديثا قصيرا من ركن المرأة كل أسبوعين . فرأيت أن يكون حديثي هذا الأول مقصورا على تبيان أهمية الفحص الطبى للحوامل . وعلى ما ينبغى أن تعرفه كل حامل من حيث المآكل والملبس والرياضة .

والحمل حالة طبيعية من حالات الجسم وليس حالة مرضية كما يعتقد البعض . ولهذا لا داعى للخوف بتاتا من الحمل متى كان الجسم فى حالة ملائمة من الصحة ، ولكنى أبادر فأقول ان فترة الحمل تقتضى العناية واليقظة أكثر من أى وقت آخر . ومن هنا نشأت هذه القاعدة الذهبية وهى أن تزور الحامل طبيها مرة كل شهر .

وأقول بكل أسف ان هناك كثيرات يعتقدن أن الحاجة الى الطبيب لا تكون الا وقت الولادة اذا حدث ما يدعو الى معوته . والواقع أن استدعاء الطبيب فى هذا الوقت يكون بمثابة مواجهة بالأمر الواقع وبعد فوات الفرصة . ذلك أن معظم كوارث الولادة يمكن اتقاؤها لو أننا اطلعنا على الحالة من قبل ورسمنا لها طريقها المناسب . فمثلا فى حالات ضيق الحوض قد ننصح باجراء العملية القيصرية عند بدء الولادة أو قبل ذلك فنضمن سلامة الولادة والمولود جميعا . بحيث أن كل ساعة تمضى بعد بدء الولادة الى أن تعمل العملية تحمل معها خطرا عظيما على الوالدة . وخطأ آخر يقع فيه بعض الحوامل الحريصات على الحمل فانهن يتخفين حملهن حتى على ذوى قرباهن . ولا يسمحن مطلقا للطبيب بفحصهن خوفا من الاجهاض على حد اعتقادهن . والحقيقة أن الأمر على العكس تماما لأن الفحص الطبى قد يكشف عن كثير من الأسباب التى تحدث الاجهاض ومعظمها قابل للعلاج اذا تداركناه فى الوقت الملائم .

اذن ستزور الحامل طبيبها فى انتظام طول مدة الحمل . فبتأكد من سلامة الجنين ، ومن اطراد نموه . ويرى ان كانت هناك عوارض أو علامات تنذر بالاجهاض أو تهدد صحة الحامل فيعمل على علاجها . ويعلم وضع الجنين . ودرجة اتساع الحوض أو ضيقه . ويقدر يوم الولادة فتستعد له الحامل حتى لاتفاجأ به مفاجأة قد تكون غير سارة . ويجرى مايراه ضروريا من تحليل الدم والبول وغير ذلك . ثم يزودها بمايراه من النصيح فى كل ما يعود عليها وعلى حملها بالخير والسلامة .

الملبس : ليست للملبس أهمية خاصة فى الثلاثة الأشهر الأولى من الحمل . ولكن ينبغى بعد ذلك تجنب الملابس الضيقة لا سيما الأحزمة والأربطة وما شابه ذلك ، فهى تعوق نمو الجنين ، وقد تسبب الاجهاض . هذا فضلا عن مضايقتها الحامل وسوء تأثيرها على الهضم . ويجب الامتناع بتاتا عن لبس الأحذية العالية الكعب لا سيما فى النصف الثانى من الحمل لأنها تسبب آلام الظهر وتزيد فى تقوس الجزء الأسفل منه فيضيق البطن بما فيه من حمل ثقيل .

أما المأكّل : فيكون عاديا فى الحالات الطبيعية . أى متى كانت صحة الحامل جيدة . وكان بولها خاليا من الزلال . ويحسن الاكثار من الفاكهة والخضر لأنها تحتوى على الفيتامينات المطلوبة لجسم الحامل وللجنين . ولأنها سهلة الهضم . ومنظمة لعمل الأمعاء . ولا بأس من الاكثار من شرب الماء . ويحسن الاقلال من المواد الزلالية فى النصف الثانى من الحمل والامتناع عنها بتاتا اذا كان بالبول زلال . أما ترتيب الأغذية بحسب نسبة ما تحتوى عليه من المواد الزلالية فهو : أولا البطارخ . وتليها الكبد والكلية والقلب . وتليها اللحوم البيضاء أى لحوم الطيور ثم اللحوم الحمراء أى لحوم البقر والضأن . ثم سمك البحر . ثم سمك النهر (مثل سمك النيل) . وعندما يراد الاقلال من المواد الزلالية يحسن أكل السمك مرتين أو ثلاث مرات فى الأسبوع مثلا . وأقل من السمك فى نسبة المواد الزلالية البيض والجبين . وأقلها اللبن اذ يحوى ٤٪ فقط .

وبهذه المناسبة نقول ان من الأخطاء الشائعة اكثر بعض النساء من شرب اللبن ظنا منهن أنه يساعد على ادرار لبن الرضاعة . وقد لا يكون اللبن أحد الأغذية المحببة اليهن فيكرهن أنفسهن على شربه . وفي هذا ضرر للمعدة والأمعاء يعقبه سوء تغذية الجسم أى على الضد مما يقصدن اليه . والواقع أن شرب اللبن مع فائدته للحوامل لا يزيد في افراز اللبن من الثديين أكثر من أى سائل آخر . فلما يساعد كذلك على افراز اللبن بنفس المقدار . وعلى ذلك يحسن أن يترك الأمر الى رغبة الحامل في شرب اللبن أو الامتناع عنه . بغض النظر عن الحمل في ذاته .

وهناك خطأ آخر يقع فيه نساء الجيل الحاضر اللاتي يتبعن النحافة عن طريق اتباع نهج خاص لتحديد كمية الطعام (رچيم) قد يكون أحيانا غاية في القسوة . فانه مع التسليم بجواز ذلك أحيانا كوسيلة للرشاقة الا أنه بالغ الضرر أثناء الحمل . لأن الجنين يحتاج الى مقادير متزايدة من أملاح الجير لنمو عظامه . ومن أملاح الفوسفور لنمو جهازه العصبى . والى الفيتامينات لنمو جسمه بصفة عامة ووقايته من بعض الأمراض كالكساح . كما أن الاقلال الكثير من الطعام يعرض الحامل للضعف العام فلا تستطيع القيام بمجهود الولادة . ولقد شاهدت حالات صداع مستمر بعد الولادة نشأ عن نقص فى أملاح الجير والفوسفور نتيجة لاتباع هذه الطرائق الضارة .

وخطأ ثالث على عكس ذلك . فهناك نساء يقعن فى الخطأ من طرفه الآخر . أى انهن يكثرن من الطعام فوق ما تحتمله الشهية ظنا منهن أن الغذاء المعتاد يسد حاجة الجسم فحسب ولكنه لا يكفى حاجة الجنين . وهذا خطأ . لأن الطبيعة قد احتاطت لذلك فأعدت زيادة فى شهية الأكل فى النصف الثانى من الحمل . وعلى ذلك ينبغى أن يكون الأكل بمقدار ما تسمح به الشهية العادية أثناء الحمل . على أن الجنين لا يحتاج من العناصر الضرورية لنموه الا الى مقادير صغيرة لا يكاد يحسب لها حساب .

فليقتصد النساء مدة الحمل في الطعام لئلا يحملن جهازهن الهضمي مشقة افراز فضلاته .

ويحسن الامتناع عن أكل المواد الحريفة لأنها تسبب تهيجاً للمعدة والأمعاء وقد تسبب الاجهاض أو الولادة المبكرة .

وأما الرياضة : فتحتاج الحامل منها الى رياضة يومية لتجديد نشاط الجسم . وتنشيط الدورة الدموية لنفسها وللجنين . وأفضل رياضة لها المشى في حذاء قصير الكعب لمدة تختلف على حسب الاستعداد الفردي . والقاعدة هي انه مادام المشى لا يبلغ درجة التعب أو الاجهاد فهو مباح ومفيد . ويحسن أن يكون في جو معتدل . أى في وقت ملائم من أوقات النهار .

وفي النساء اللاتي اعتدن مزاوله أنواع سهلة من الرياضة كالسباحة أو الرقص لا بأس من استمرارهن في مزاولتها أثناء الحمل . لا سيما في النصف الأول منه . على أن تكون باعتدال وألا تحدث تعباً شديداً ، وبشرط ألا يكون قد حدث لهن اجهاض سابق . فان لم تتوفر هذه الشروط وجب الامتناع عن هذه الرياضات والاكتفاء بالمشى اليومي . أما الرياضة العنيفة كحمل الأثقال والألعاب البهلوانية ولعب الكرة . والرقصات المسرحية وما شابهها فيجب الامتناع عنها بتاتا طول مدة الحمل .

ولا يفوتني هنا أن أذكر هذه الحقيقة وهي أن درجة تعرض الحوامل للاجهاض مسألة استعداد خاص . فمنهن من تسقط من مسكنها بالطابق الثالث فتكسر بعض عظامها ويبقى مع ذلك حملها سليماً . وعلى العكس من ذلك قد نرى الاجهاض يحدث من تناول مسهل قوى أو من حمل جسم ثقيل أو من انزلاق القدم على سطح أملس أو من افريز الطريق . فيحسن بالسيدات أن يكن أميل الى القصد منهن الى الاسراف في الرياضة في أثناء الحمل .

ولا بأس قبل أن أختم كلمتي هذه من أن أذكر أن من الحوامل من تعتقد خطأ أنها اذا أوت الى فراشها وأرادت أن تدور من أحد جنبها الى الجنب الآخر فعليها أن تجلس أولاً قبل أن تستطيع الاضطجاع على جنبها الآخر . والا تغير وضع الجنين . وهذه خرافة لا أساس لها من الحقيقة ويكفي مجرد ذكرها للقضاء عليها .

٢ - الحامل . القنأة الهضمية . البول . الشريان

كان حديثي في المرة السابقة عن بعض ما ينبغي على الحامل أن تعرفه من أمر رياضتها ومآكلها وملبسها . واليوم أتحدث عن نواحي أخرى يجدر بالحامل أن تكون على شيء من الدراية بها .

قيء الحمل : يحدث عادة في الصباح عندما تهض الحامل من فراشها ولهذا سمي قيء الصباح . وقد يكون مجرد غثيان أي ميل للقيء . ويكون عادة في الشهر الثاني والثالث وبعض الشهر الرابع ثم ينقطع فيما بقي من مدة الحمل . وهو لا يصيب الا نحو ٥٠٪ من الحوامل . أي ان نصف الحوامل يجتزن مدة الحمل بأكملها سالمات منه . وفي هذا ما يدل على أن الحمل في ذاته لا يؤثر في المعدة تأثيرا عضويا خاصا . والسبب في حدوث هذا القيء في الغالبية العظمى حالة نفسية أو عصبية تستولي على الحوامل منشؤها اعتقادهن أن القيء عرض من أعراض الحمل كاقطاع الحيض . أي ان الحامل لا تكون حاملا في رأي نفسها ورأي أهلها الا اذا حل بها هذا القيء . أما في حالات قليلة فيكون سبب القيء تسمم ناشئ من الحمل فعلا . ولكن هذه الحالات نادرة لحسن الحظ . وأقول لحسن الحظ لأنها حالات شديدة تقتضى علاجاً حاسماً سريعا . وقد يدعو الأمر فيها الى التخلص من الحمل بوساطة عمل جراحى سريع محافظة على صحة الحامل وابقاء عليها من التلف .

وقيء الحمل الذى يحدث في الصباح هو في الحقيقة اجراء وقائى من جانب الجسم . لأن الحامل حينما تنتقل بفتة من الوضع الأفقى الذى تكون فيه أثناء النوم الى الوضع الرأسى عندما تهض من فراشها فان المخ يحدث به نقص في كمية الدم التى يرسلها القلب اليه . وما القيء الا مناورة بارعة الغرض منها اقباض في عضلات الصدر فيزداد الضغط داخل

الصدر ويترتب على ذلك دفع مقدار أكبر من الدم يكون بمثابة نجدة سريعة لاسعاف المخ .

وقىء الحمل لا يؤثر عادة في تغذية الحامل ولذلك يحتفظ جسمها بحالته الصحية الطبيعية فلا يعترها هزال أو نقص في الوزن . وعلاجه ينوقف في جوهره على مبلغ تأثير الطبيب على المريضة وعلى مبلغ ثقها به . وبعبارة أخرى فالعلاج يكون عن طريق الايجاء أو الاقناع . وللطبيب في هذا وسائل شتى : فقد يلجأ الى تغيير محل اقامتها . أو الى نقلها الى أحد المستشفيات . أو الى السماح لها بأكل كل ما تشتهيها أيا كان نوعه . أو على العكس ، الى حرمانها بتاتا من الطعام لمدة يوم أو يومين . أو الى تهديدها باجراء عملية الاجهاض ان كانت شديدة الرغبة في الحمل وهكذا . وقد ينفع أن تمكث الحامل نحو عشر دقائق نصف جالسة قبل مغادرتها الفراش في الصباح وذلك بوضع وسادتين أو ثلاث تحت الرأس حتى لا يفاجا الرأس بالوضع الرأسي كما قدمنا . ولا بأس من تناولها قدحا كبيرا من الشاي الساخن محلى بقليل جدا من السكر وهى على وضعها هذا لكي يذهب عنها الملل . ثم تثنى رأسها بين ركبتيها لفترة قصيرة قبل نهوضها من الفراش فاذا ماسلمت من قىء الصباح بقيت سالمة منه طول يومها في أغلب الحالات . أما العلاج بالدواء فلا ندخل في تفصيله هنا . ولكنه يكون باعطائها مسكنا للمعدة وملينا للأمعاء . وخالصة المبيض وأملاح الجير وغير ذلك حسبما يراه طبيبها المعالج .

وينبغى على الحامل أن تتجنب كل طعام لا تجد في نفسها اقبالا عليه عند النظر اليه . وأن تأكل ما تشتهيها أو ما يمر بخاظرها من ألوان الطعام على أن يكون ذلك بكميات قليلة على فترات كثيرة متقاربة . والمشاهد بصفة عامة في هذه الحالات أن المعدة ترتاح الى الأطعمة السهلة الطهى والى السوائل الشديدة البرودة أو الشديدة السخونة . كما أن ما يناسب الواحدة قد لا يناسب الأخرى . وعلى كل حامل أن تعرف بنفسها ماذا تأكل وماذا تترك .

ولن أدخل هنا في علاج النوع التسمى ولكنى أكتفى بأن أقول انه يتميز عن النوع العصبي بعلامات أربع وهي : نقص واضح في وزن الجسم أى هزال شديد • ونقص شديد في كمية البول مع ظهور الزلال فيه • وازدياد في النبض الى ما فوق المائة النبضة في الدقيقة بصفة مستمرة • وظهور الصفراء في العينين • فاذا ظهرت هذه العلامات أو بعضها وجبت استشارة الطبيب دون ابطاء •

والآن نتحدث قليلا عما يصيب المعدة بعد أن تنتضى فترة قىء الحمل • فقد تتأثر حموضة المعدة في كثير من الحالات بالزيادة أو النقص • وقد يؤثر هذا في حالة الأسنان في أثناء الحمل • ولا بأس من غسل الفم بمحلول قلوئى مثل بيكربونات الصودا بمقدار ملعقة صغيرة في نصف كوب من الماء في الصباح والمساء • وفي الشهر الثامن من الحمل يكون الرحم قد بلغ أقصى ارتفاعه في البطن فيصير قريبا من المعدة ويزحمها فلا تسع من الطعام ما كانت تسعه من قبل • ولهذا يحسن أن تكون وجبات الطعام قليلة في مقدارها كثيرة في عددها • أما في الشهر التاسع فان الرحم يهبط في البطن قليلا عندما يتخذ رأس الجنين مكانه في الحوض فيخف عن المعدة ما كانت تعانيه من الضيق •

الامساك : شديد الضرر بالحوامل وهو كثير الحدوث مدة الحمل لأن الرحم كلما ازداد حجمه عرقل حركة الأمعاء • ويكفى لتجنب الامساك في الحالات العادية قليل من الرياضة اليومية والاكتثار من أكل الفاكهة والخضر • ولا بأس من تناول المليينات الهادئة كزيت البارافين أو المانيزيا أو مسحوق العرقسوس كلما دعا الأمر اليها • فاذا لم تفلح فينبغى عرض الأمر على الطبيب لأن المسهلات القوية قد تسبب الاجهاض • أما الحقن الشرجية فيحسن الاقلال منها الا عند الضرورة القصوى • لأن مداومة عملها تحدث احتقانا بالرحم وقد يؤدي ذلك الى الاجهاض • قلنا ان المسهلات القوية والاكتثار من الحقن الشرجية قد تسبب الاجهاض ونضيف الى ذلك أن الامساك نفسه قد يسبب الاجهاض كذلك ، ولا سيما في الجزء

الأول من الحمل . ومن مضار الامساك أنه يعطل افراز الفضلات المتخلفة عن الطعام فتبقى في الأمعاء مدة طويلة فيمتص الجسم منها مواد مؤذية يرى بعض العلماء أنها السبب في تسمم الحمل أو على الأقل مشتركة في احداثه .

الاهتمام بأمر البول : لا بد من مراقبة البول للاطمئنان على وفرة كميته . وللتحقق من خلوه من الزلال . وينبغي القيام بفحصه مرة كل شهر في السبعة الأشهر الأولى من الحمل . ثم مرة كل أسبوع أو أسبوعين بعد ذلك الى تمام الحمل . وفحص البول يدل على كفاية الكلوتين اذ تقومان أثناء الحمل بعمل اضافي هو افراز فضلات الجنين . وظهور الزلال فيه نذير من النذر الأولى لتسمم الحمل . وتسمم الحمل يتخذ مظاهر مختلفة : منها القيء التسمي الذي سبقت الاشارة اليه . ومنها النزف الرحمي في الثلث الأخير من الحمل . ولكن أشدها خطرا على حياة الحامل تشنجات الحمل (وهو ما نسميه الأكلامسيا) . ولهذا وجبت علينا اليقظة التامة حتى نأمن شر هذه الكوارث العظيمة — أما كمية البول فيجب الاهتمام بأمرها بحيث اذا شوهد نقص مفاجيء فيها وجبت استشارة الطبيب في الحال لأن هذا نذير آخر باقتراب الخطر .

ويحسن هنا أن نسرّد في ايجاز هذه النذر أو مانسميها بحق علامات الخطر التي ينبغي على كل حامل أن تعرفها معرفة تامة لكي تسرع الى طبيها عند ظهور واحدة منها : الامساك الحاد المفاجيء . النقص المفاجيء في كمية البول . زلال البول . الصداع الشديد . اضطراب النظر . ألم حول الصدر أو ألم فيما يسميه العامة « فم المعدة » . تورم الرجلين أو جدران البطن .

العناية بالثديين : هذا أمر واجب في أثناء الحمل لما سيقومان به بعد الولادة من ارضاع الطفل الى مدة تناهز السنة . ولهذا ينبغي أن نعدّهما للرضاعة في الشهرين الأخيرين من الحمل . وذلك بتدليك الحلمتين بانتظام مرتين كل يوم . وخير الوسائل لذلك أن تغسل اليدين في الصباح بالماء والصابون

ثم تدهن الحلمتان بالفازلين المعقم وتدلكان بأصبعي الإبهام والسبابة جذبا الى الخارج بضع مرات لكل حلمة ، ثم تكرر هذه العملية قبل النوم مع دهن الحلمتين بماء الكولونيا بدلا من الفازلين . والتدليك يقوى جلد الحلمتين ويقيه من التشقق مدة الرضاعة ويزيد في طول الحلمة القصيرة أو الغائرة ويسوى شكلها فتصير الرضاعة سهلة على الطفل مريحة للأم . وبذلك تتقى كثيرا مما يصاحب الرضاعة من الضيق والعناء . وكم من مرضع اضطرت الى تغذية طفلها تغذية صناعية لا عن نقص في مقدار لبن ثديها ولكن عن عدم قدرة على ارضاعه . ولا يخفى ما تقتضيه التغذية الصناعية من الجهد والنفقة ومن تعرض الطفل لأضرار كثيرة ما كان أغناه عنها لو اننا أعددنا الحلمتين بهذه الطريقة البسيطة . هذا فضلا عما قد يؤدي اليه تشقق الحلمة من تعرض الثدي للالتهاب أو اصابته بخراج يدعو الى تدخل جراحى .

٣ - اقتربت الساعة . أو في انتظار الحادث السعيد

ما يزال حديثنا هذه المرة عن الحامل • ولكنه عن الحامل في شهرها التاسع الأخير • حيث تكون قد قاربت الانتهاء من حملها وأشرفت على الولادة • وأخذ يداعبها الشوق الى رؤية هذا القادم العزيز المنتظر • لتضمه بين ذراعيها فرحة مسرورة ، ولتلقى تهنئة الأهل والأصدقاء في غبطة وسعادة •

والشهر التاسع : شهر كثير الأحداث • ففيه يهبط الرحم ويویدا في البطن عما كان عليه في الشهر الثامن فيخف الضغط عن المعدة • وتشعر الحامل بنصيب أكبر من الراحة عند تناول الطعام • ولكنها حين تودع هذا العرض البغيض وهو سوء الهضم فأنا لتستقبل عرضا آخر قد يسبب لها شيئا من الضيق وهو احساسها برغبة في التبول في فترات كثيرة متقاربة • ذلك لأن رأس الجنين يهبط في فتحة الحوض شيئا فشيئا لكي يتخذ موضعه استعدادا للولادة فيضغط على المثانة فلا تسع من البول ما كانت تسعه في حالتها الطبيعية فتزداد مرات التبول تبعا لذلك — ومن أحداث الشهر التاسع آلام في البطن أو الظهر تنتاب الحامل بين حين وآخر • ولكنها آلام طارئة خفيفة لا تدعو الى شيء من القلق ولا تدل على بدء الولادة ، وهي قصيرة الأمد منشؤها انقباض في جدر الرحم لكي يجدد دورته الدموية أو استجابة منه لحركة الجنين • وكلا الأمرين ذو فائدة لأنه يساعد على نمو الجنين — ومن أحداثه كذلك صعوبة في المشي سببها استرخاء في أربطة مفاصل الحوض لأن الحوض عبارة عن حلقة عظمية مكونة من عدة عظام تمسك بعضها بعضا هذه الأربطة التي تلين وتسترخى استعدادا للولادة ، حيث يقتضى الأمر أن يتسع الحوض الى أقصى ما يستطيعه لمروور الجنين فيه وفي الأيام القليلة الأخيرة من الشهر التاسع يخرج من الرحم افراز مخاطي لزج به قليل من الدم يدل على اقتراب الولادة حين

يأخذ عنق الرحم المغلق في التآهب للافتتاح والتمدد فيخرج منه هذا الافراز المخاطى المدمم . ووجود الدم في هذا الافراز أمر طبيعى لا ينبغى أن تلقى الحامل بالا اليه .

معرفة يوم الولادة : لمعرفة يوم الولادة طرائق ثلاث : أولها أن تعد

الحامل ٢٨٠ يوماً أى تسعة أشهر وأسبوع من تاريخ آخر حيض ، وعلى وجه أدق من تاريخ أول الحيض فيكون هذا يوم الولادة بالتقريب . والطريقة الثانية أن تعد ٢٢ أسبوعاً أو ١٥٤ يوماً أو خمسة أشهر من تاريخ احساسها حركة الجنين للمرة الأولى . لأن الجنين يبدأ تحركه في أواخر الشهر الرابع من الحمل . ومتكررات الولادة أعرف بحركة الجنين من الحوامل للمرة الأولى . إذ أن حركة الأمعاء لا سيما إذا كانت بها غازات قد تلتبس بحركة الجنين في أولها عند قليلات الخبرة بالحمل . على أن حركة الجنين هذه تزداد وضوحاً كلما نما الجنين فتميزها الحامل في سهولة . أما الطريقة الثالثة فيلجأ إليها الطبيب إذ يعرف مدى تقدم الحمل بازدياد حجم الرحم وارتفاعه في البطن ومن ثم يقدر يوم الولادة . ويمكن من هذه الوسائط الثلاث ومقارنتها ببعضها البعض الوصول الى تحديد يوم للولادة هو أقرب ما يمكن الى الصواب . وفي الغالبية العظمى من الحالات يقع يوم الولادة اما قبل هذا اليوم المقدر بأيام قليلة أو بعده بأيام قليلة . وهناك طريقة أخرى يستعين بها الطبيب في أواخر أيام الحمل لمعرفة يوم الولادة . وهى ما نسميه انمحشار رأس الجنين في الحوض ، إذ يحدث ذلك قبل الولادة بثلاثة أسابيع في الحوامل للمرة الأولى وثلاثة أيام أو أربعة في متكررات الولادة . ولا بد من الاشارة هنا الى أن يوم الولادة حسب هذه الوسائط لا يكون صحيحاً في جميع الحالات لان مدة الحمل ليست واحدة في جميع النساء . ثم أن الولادة قد تتعجلها قبل موعدها عوامل ومؤثرات مثل كبر حجم الجنين أو التوائم أو الزيادة في كمية السائل الذى يحيط بالجنين . أو الاتفعال النفسى أو الحركات العنيفة مما يعرض الرحم على الاتقباض والبدء في الولادة قبل أوانها

وهو ما نسميه الولادة المبكرة . وينشأ عن الولادة المبكرة مولود لم يتكامل نموه فيكون أمه في الحياة بعد ولادته منقوصا ويواجه الحياة في صحة معتلة . كما أن الولادة قد تتأخر عن موعدها فيبقى الجنين في الرحم شهرا أو أكثر بعد مدة الحمل الطبيعية وهو ما نسميه الولادة المؤجلة . وأقصى مدة للحمل اعترفت معاجم الطب هي ٣٣٠ يوما أى أطول من المدة الطبيعية بخمسين يوما . وعلى ذلك ينبغي أن تستعد الحامل للولادة منذ أول الشهر التاسع حتى لا تفاجأ بها على غير انتظار . فان كانت تريد الولادة في بلد غير الذى تقيم به فلتنتقل الى ذلك البلد منذ أول الشهر التاسع كذلك .

ما الذى يسبب الولادة ؟ : أو ما الذى يدفع الرحم الى العمل ليخرج الجنين الى هذه الحياة الدنيا أو بعبارة أخرى ما كنه تلك الاشارة التى يتلقاها الرحم فيأخذ في الانقباض بشكل تلقائى لاسلطان لأحد عليه الى أن تتم الولادة . ذلك أمر لا يزال سره غامضا . قال فريق من العلماء ان الذى يمرض الرحم على الولادة هو تراكم ثانى أكسيد الكربون فى الدم حتى يصل الى مقدار ينبه المركز العصبى الذى يهيمن على الرحم فيدفعه الى الانقباض . وقال فريق آخر ان تراكم مادة البتوترين فى الدم هو الذى يمرض الرحم على العمل . وقال آخرون بل هو مجرد تمدد عضلات الرحم وما تعانیه من الشد بسبب نمو الجنين المطرد . وقال غيرهم انه ضغط رأس الجنين على مجمع أعصاب الرحم عند عنقه . وقال فريق آخر انه شيخوخة المشيمة بسبب استحالة فى نسيجها بحيث لا تستطيع تغذية الجنين تغذية كافية ، فيصير الجنين كأنه جسم غريب عن الرحم فيأخذ هذا فى التخلص منه . ويقول آخرون غير هذا وذلك فاذا لم تتوافر هذه الأسباب أو بعضها فى الوقت المناسب تأخرت الولادة عن موعدها . واذا توافرت قبل أوانها حدثت الولادة مبكرة .

اختيار غرفة الولادة : ينبغي أن تختار غرفة الولادة بحيث تكون بعيدة عن الضوضاء . منعزلة عن باقى غرف المنزل قدر المستطاع . وأن

تكون على حظ موفور من الضوء • حسنة التهوية • وأن تدخلها الشمس
بعض ساعات النهار • وليكن ما بها من الأثاث بسيطا قليلا غير مزدحم •
ولتكن خالية من الأبسطة والأستار السميقة لأنها تحوى الأتربة ، وربما
تلوثت الولادة بسبب ذلك اذ أن الجرثومة التى نسميها (Streptococcus)
أى الجرثومة السببية - وهى التى تسبب حمى النفاس - تستطيع
الحياة فى الأتربة بضعة أيام • وليكن سرير الولادة ضيقا • وليكن
موضعه بحيث يمكن المرور من حوله من جميع جهاته أو من ثلاث جهات
على الأقل • والسبب فى اختيار السرير الضيق هو انه يتيح للوالدة عند
الضرورة اذا نامت فيه بشكل مستعرض أن تكون قريبة من المولّد عند
أحد جانبي السرير ، ومن الطبيب الذى يقوم على تخديرها من الجانب
المقابل • كما يحسن أن يكون السرير ثابتا قليل الاهتزاز - أما اذا فاجأتنا
الولادة قبل أن نعد لها غرفة خاصة فينبغى ألا نلجأ الى اخلاء الغرفة التى
يقع عليها اختيارنا مما بها من الأثاث بل تتركه حيث هو • وألا نحدث
الكثير من الهرج فى كنفها وتنظيفها لثلاث نثر بها الغبار فيملأ جوها
ويكون خطرا عظيما على الولادة اذ يعرض الوالدة لحمى النفاس • وخير
ما نستطيع عمله أن ننظفها فى رفق وهدوء ، وأن نغطى ما بها من الأبسطة
وقطع الأثاث الكبيرة بملاءات بيضاء نظيفة - وان كان من أهل
المنزل مصاب بالزكام أو الانفلونزا أو النزلات الصدرية أو التهاب
الحلق أو الحميات الحادة وجب ان يبقى بعيدا عن المنزل أو على الأقل
بمعزل عن غرفة الوالدة لمدة عشر أيام أو أسبوعين بعد الولادة حتى
لا تصاب بحمى النفاس • فاذا لم يكن هذا مستطاعا وجب أن تكون الولادة
بأحد المستشفيات • وبهذه المناسبة أقول ان الولادة بالمستشفى أفضل
وأنظف منها بالمنزل مهما توافرت به وسائل العناية • وفى كثير من مدن
أوروبا تجرى معظم الولادات طبيعية كانت أو عسرة فى المستشفيات •
ولا شك أن هذا دليل على نضوج الوعى الصحى فى تلك البلاد •

معدات الولادة : لا تحتاج الولادة الا الى معدات قليلة هى غاية
فى البساطة • ولم يعد أمرها معقدا كما كان فى الماضى حين كانت تعد لها

قائمة طويلة من الأدوات والمطالب • ويكفى قطعتان من الشمع احدهما كبيرة لوقاية السرير بقدر المستطاع ، والأخرى صغيرة توضع على السرير بشكل عرضي • وطبقان من الصاج اللامع • وبعض القطن والشاش المعقم • وزجاجة من الكحول النقي وأخرى من صبغة اليود وثالثة من مطهر مثل الديتول • وحقن الأرجوتين والبتوترين • ثم قطرة تترات الفضة ١٪ ومسحوق ناعم أبيض (بودرة Talc) . وقطعة من خيط حريري سميك يربط بها حبل السرة •

ما تتجنبه الحامل المشرفة على الولادة : يحسن أن تتجنب الحامل الغسل

المهبل قبل الولادة بأسبوعين أو ثلاثة أسابيع ، لأن السائل الذي يستعمل للغسل قد لا يكون معقما كما ينبغي فيلوث الرحم عند الولادة • كما يحسن أن تتجنب الاتصال الجنسي في نفس هذه الفترة إذ أنه قد يعرضها للتلوث ، فضلا عن أنه قد يمرض على الولادة المبكرة • وكذلك الانفعال النفسى على شتى أنواعه • ويجدر بها كذلك أن تتجنب التعرض للبرد أو النزلات الصدرية أو المعوية حتى تستقبل الولادة في قوة وصحة •

٤ - قرّة العين أو ساعة الميلاد

انتهى بنا الحديث السابق الى حيث أكملت الحامل حملها • وأتمت اعداد حجرة ولادتها • وزودتها بكل المطالب والأدوات الصالحة • ولم يبق الا أن تدعو المولد أو المولدة عندما تبدأ الولادة • وان من الخير أن تعرف متى تبدأ هذه الولادة حتى يكون دعاؤها في وقته انلائم بلا افراط ولا تفريط •

علامات الولادة : أول هذه العلامات افراز مخاطى لزج ممتزج بقليل من الدم • وهذا يحدث قبل الولادة بيوم أو يومين أى انه علامة مبكرة تشير الى اقتراب الولادة • والعلامة الثانية ألم في البطن وأسفل الظهر مصحوب بتصلب الرحم • ولا بد من مصاحبة الألم لتصلب الرحم لكى نستدل على أن الولادة قد بدأت فعلا • لأن مجرد آلام البطن أو الظهر تحدث في الأشهر الأخيرة من الحمل ولا تدل على الولادة • ومجرد تصلب الرحم أو انقباضه يحدث في نفس هذه الفترة ولكنه لا يكون مؤلما ولا يدل على الولادة كذلك • أما اذا اقترن التصلب بالألم فينبغى على الحامل استدعاء المولد • وطريقة التحقق من ذلك أن تضطجع الحامل في سريرها وتنتظر حتى يحدث الألم فتضع راحتي يديها على بطنها فتحس أن رخاوة البطن قد زالت وحلت محلها صلابة واضحة تجعل البطن في صلابة الحجر • ويستمر هذا التحجر نحو نصف دقيقة أو دقيقة ما استمر الألم • فاذا زال الألم زال التحجر وعادت الى البطن رخاوته الطبيعية • ويمكنها التأكد مرة أخرى من هذه العلامة حين يعاودها ألم آخر فعندئذ يحسن استدعاء المولد • أما العلامة الثالثة فيعرفها المولد حين يحضر • بوساطة الفحص المهبل • وهى أن عنق الرحم الذى كان مغلقا طول مدة الحمل يبدأ في الافتتاح ثم يأخذ هذا الافتتاح في الازدياد ببطء كلما تقدمت الولادة •

هل تلزم الوالدة الفراش منذ بدء الولادة؟ : الجواب لا في الحالات الطبيعية . بل يحسن أن تمشى برفق في حجرتها أو تقوم بعمل سهل مثل كالتريز وهي جالسة على كرسى مريح . والمشي يساعد على سرعة الولادة . ويحسن أن تعمل لها حقنة شرجية دافئة من الماء والصابون في هذا الوقت قبل أن تصبح منها عنها اذا ما تقدمت الولادة خشية التلوث . كما يحسن أن تتناول وجبة سهلة الهضم من الطعام تساعد على ما هي مقبلة عليه من عمل . أما في الحالات غير الطبيعية كجىء الجنين برجليه أو بمقعده أو سقوط الحبل السرى أمام رأس الجنين فيجب على الوالدة أن تلازم الفراش بمجرد أن تبدأ الولادة محافظة على كيس الماء الذى يحيط بالجنين من الانفجار قبل أوانه . لأن بقاء هذا الكيس سليما — وهو ما نسميه جيب المياه — عظيم الفائدة في توسيع عنق الرحم بدرجة متساوية من جميع جهاته .

هل يجب أن تتم الولادة الطبيعية في أربع وعشرين ساعة؟ : والجواب لا . لأن الولادة الطبيعية قد تستغرق يومين أو ثلاثة كما قد تتم في فترة تقل كثيرا عن أربع وعشرين ساعة . والقاعدة هي أنه مادامت الوالدة بخير أى ليس بها علامات تدل على اقتراب الخطر . وما دام الجنين حيا فلا خوف مطلقا من طول مدة الولادة . على أن يكون الأمر تحت اشراف الطبيب في كل حالة . فاذا خشى الطبيب على حياة الجنين أو ظهرت له علامات تدل على انحطاط قوى الوالدة أو تعرضها للخطر وجب عليه أن يسرع باتمام الولادة حسبما يرى . ويجدر بالوالدة أن تعلم أن كل ولادة تتم طبيعيا لى أفضل مائة مرة من ولادة يلجأ الطبيب مضطرا الى اتمامها بتدخل جراحي مهما بلغت مهارته . وكمن طيب أخذته الشفقة فغلبه التهاون ازاء توسل أهل الوالدة فتداخل في ولادة طبيعية ما كانت لتحتاج الا الى شىء من الانتظار . فلا يكون بطاء الولادة مصدر قلق للوالدة أو لأهلها ما دامت الأمور تجرى في مجراها الطبيعى .

هل تعطى الوالدة حقنا لتقوية الرحم؟ : الجواب لا في الغالبية العظمى

من الحالات • سيقول أهل الولادة ان فلانة قد حققت عند ولادتها بمادة فولدت في ساعة أو بعض ساعة • والجواب انها سعيدة الحظ اذ نجت من تمزق الرحم أو موت الجنين في بطنها قبل ولادته • وهو أمر كثيرا ما نشهده في المستشفيات العامة في حالات حققت بهذه العقاقير ابتناء الاسراع في الولادة • لأن الرحم المجهد لا ينبغي أن نستحبه على العمل بمثل هذه الوسائل • بل ينبغي على العكس أن نهيء له فترة استراحة يكون بعدها أقدر على القيام بعمله الشاق • أما الحالات التي تتطلب مثل هذه الحظن فنادرة ويجب دائما أن يترك الأمر فيها الى تقدير الطبيب المولد •

لماذا لا تتقدم الولادة ؟ : تسألنا الوالدة لماذا لا تنتهي ولادتها رغم جهودها هذه العظيمة المتصلة • وهل معنى هذا أن ولادتها عسرة ؟ • والجواب على هذا أن كل دقيقة تمضي لها ثمرتها في توسيع عنق الرحم والقناة التي سير فيها الجنين • ولا عبرة بأن الوالدة لا ترى لجهودها أثرا ظاهرا • لأن الأنسجة الداخلية تتسع وتسترخي تدريجيا حتى لا تتمزق عند مرور الجنين فيها • ورب ولادة سريعة كانت أشد ضررا بالوالدة من ولادة بطيئة رفيقة بالأنسجة •

عدد مرات الفحص المهبلي : كثيرا ما يطلب الى المولد أن يجري الفحص المهبلي بين حين وآخر ليرى مبلغ تقدم الولادة • والفحص المهبلي يحمل معه خطرا كامنا هو حمى النفاس مهما بلغت وسائل التطهير والتعقيم من الدقة • ويكفى أن نقول أن حمى النفاس من أخطر العلل التي تصيب النساء على الاطلاق • فلتكن مرات الفحص المهبلي قليلة ما استطعنا • ولا يحتاج الأمر عادة الا الى مرتين في الحالات الطبيعية • مرة عندما يستدعى المولد أول الأمر ليتأكد من أن الولادة قد بدأت فعلا • ومرة أخرى عندما ينفجر جيب المياه ليتحقق من أن الحبل السرى لم يدفعه تيار الماء الى أسفل فيسقط في المهبل فتعرض حياة الجنين للخطر • وان لدينا من الوسائل الأخرى ما يدلنا دائما على حالة الوالدة والجنين وعلى مقدار تقدم الولادة دون أن نلجأ الى هذا الفحص المهبلي •

هل تعطى الوالدة مخدرا أثناء الولادة ؟ : منذ أن كشف عن العقاقير التي تحدث التخدير اتجه التفكير بطبيعة الحال الى استعمالها لتخفيف آلام الولادة . والألم فضلا عن أنه بغيض مكروه فإن التعرض الطويل له يفضى الى صدمة عصبية تكون تيجتها خمولا في عضلات الرحم فتطول مدة الولادة تبعا لذلك . ومن هنا نشأت الحاجة الى المخدر لتخفيف هذه الآلام أو للقضاء عليها . غير أن المخدر في ذاته يعطل سير الولادة لأنه يفضى الى خمول عضلات الرحم كذلك ، وعلى هذا فكللا الأمرين معطل للولادة . ولكن ينبغي أن يترك الأمر لتقدير المولد لأنه يعرف متى يكون المخدر مدعو الاستعمال . وعادة يكون هذا في الجزء الأخير من الولادة أى عند خروج رأس الجنين من المهبل حين يبنغ الألم منتها . على أنه يحسن في بعض الحالات اعطاء المخدر قبل ذلك بوقت طويل حين يكون خوف الوالدة من الألم عظيما الى درجة تمنعها من استغلال قواها العضلية ، وهنا يكون المخدر ذا فائدة اذ يلاشى هذا الخوف فيأخذ الرحم وباقي عضلات الجسم في العمل كما ينبغي . أما أنواع التخدير فكثيرة ، يختار منها الطبيب ما يراه مناسبا لكل حالة .

تمزقات العجان : (العجان هو ما بين فتحة المهبل وفتحة الشرج) . هذه التمزقات كثيرة الحدوث في البكرات أى الوالدات للمرة الأولى . وهى على ضالة أمرها من أهم مضاعفات الولادة اذا ما تركت بغير اصلاح لأنها تسبب السقوط الرحمى والسقوط المائى والسقوط المستقيمى وما يقترن بهذه السلسلة من آلام وأعراض كثيرة ، وقد يكون ذلك بعد سنين طويلة من تاريخ الولادة . وهذه التمزقات فى ذاتها بسيطة غاية البساطة . وتحدث فى نحو نصف الوالدات للمرة الأولى وأقل من ذلك فى متكررات الولادة . ويكفى لاصلاحها غرز قليلة لا يستغرق عملها دقيقة أو اثنتين فئامن شر هذه المضاعفات . أما السبب الأكبر فى اهمال أمر هذه التمزقات فهو ان المولد لا يريد أن يطلع أهل الوالدة على ما يظنه يسىء الى سمعته الفنية فيسترها لا سيما الصغير منها . والحقيقة أن المولد الماهر هو الذى يتبينها ويقوم باصلاحها وليس الذى يخفيها عن الأنظار

أو لا يظن اليها • ونصيحتي للوالدات أن يسألن المولدة دائما عما اذا كان قد حدث تمزق بالعجان مهما كان صغيرا فيدعى الطبيب لاصلاحه فتعود فتحة المهبل الى ما كانت عليه قبل الولادة • وبهذا تتقى شر استرخاء العضلات الحوضية والسقوط الرحمي في المستقبل •

وعلى المولد ألا يفادر منزل الوالدة الا بعد أن يتأكد تماما من سلامتها من النزف ومن الهبوط العام • ومن أن الرحم قد استعاد صلابته واقتباضه • كما ينبغي عليه أن يفحص المولود ليرى ان كانت به عيوب خلقية قد تمنعه من الرضاعة أو التبول أو التبرز • وأن يعيد فحص رباط الحبل السرى خوفا من نزف قد يهدد حياة المولود •

٥ - وبعْدَ أنْ أنْجَبَتْ

حديثنا هذا عن النفاس :

والنفاس هو الفترة التي تعقب الولادة وتعود فيها الأعضاء التناسلية الى حالتها الطبيعية التي كانت عليها قبل الحمل . وهي فترة تستغرق نحو ستة أسابيع أو أربعين يوما . ومن هنا نرى صدق ما يعبر عنه العامة بكلمة « الأربعين » فهي كلمة صحيحة كل الصحة . وفي هذه المدة يزول احتقان الجهاز التناسلي تدريجيا وتكتمش أعضاؤه فيصغر حجمها ببطء كل يوم الى أن تعود كما كانت كأن لم يكن بها حمل أو احتقان أو كبر في الحجم . وهذه آية كبرى من آيات الله يطول بنا الحديث اذا نحن حاولنا الدخول في تفصيلها فتبارك الله أحسن الخالقين . والمرأة أحوج ما تكون الى الرعاية في هذه الفترة بعد أن نهضت بهذا العبء العظيم في أثناء الحمل وهذا الجهد المرهق في أثناء الولادة . وحق لها أن تنال قسطا موفورا من الراحة والاستجمام مدة النفاس لكي تسترد عافيتها كاملة .

حزام البطن : ينبغي أن يكون حزام البطن عريضا يبلغ عرضه نحو نصف متر والا فهو قليل الفائدة لا خير فيه ، كما ينبغي أن يكون محكما حول البطن والظهر . أما فائدته اذا أحسن عمله فلا تتعدى في الواقع مساعدة الأمعاء على القيام بوظيفتها في الأيام القليلة الأولى التي تلي الولادة . لأنه يحفظ الضغط داخل البطن بعد أن خف هذا الضغط كثيرا نظرا لصغر حجم الرحم اذ أصبح فارغا بعد الولادة . وفائدة أخرى ضئيلة القدر لحزام البطن هي أن الوالدة تحس معه بشيء من الراحة . ويميل الرأي الحديث الى التهوين من شأن حزام البطن بل ان البعض لينصح بالاستغناء عنه ، لأنه يرى أنه يعطل حركة عضلات البطن بعد أن طال

الشد عليها طول مدة الحمل وأصبحت في حاجة الى الحركة الطليقة من كل ما يحدّها - والرأى عندى أنه يحسن الاستغناء عنه بعد يومين أو ثلاثة من الولادة . أى بعد أن تكون الوالدة قد تناولت ملينا يكفل للأمعاء الحركة والنشاط وبعد أن تكون قد استردت قوتها بعض الشيء . وبهذا تتيح لعضلات البطن الانقباض والتمدد في كامل حريتها فتعود اليها قوتها بسرعة . أما اذا كانت الوالدة سميئة بالغة السمن أو كانت قد ألقت حزام البطن فارتاحت اليه في الولادة السابقة فلا بأس من استعماله مدة أطول .

المأكل : يحسن أن يقصر الطعام في اليومين الأولين على السوائل . البارد منها والساخن على السواء . مثل ماء الشعير وعصير الليمون وعصير الفواكه وما شابه ذلك كالشاي والقرفة وغيرهما . ولا بأس من تناول بعض الأطعمة الخفيفة اذا أحست الوالدة رغبة شديدة للطعام . وفي مساء اليوم الثانى أو صباح اليوم الثالث تعطى الوالدة ملينا مثل البارافين السائل أو زيت الخروع . وبعد أن تتحرك الأمعاء تستطيع أن تتناول مرق الدجاج وقليلًا من السمك وقليلًا من الخبز والتفاح المطبوخ لمدة يوم واحد . وبعد ذلك يكون المأكل عاديا .

كم تبقى الوالدة في الفراش بعد الولادة : هذا أمر كان العلماء فيه على خلاف كبير . فلقد كان البعض يسمح للوالدة بمغادرة الفراش بعد اليوم الثالث خوفا على الرحم أن يميل الى الخلف وهو لا يزال طريا رخوا كبير الحجم . وكان البعض الآخر يبالغ في بقاء الوالدة في فراشها مدة طويلة تزيد على الأسبوعين لكي يتيح لها فترة كافية للراحة بعد ما لقيته من العناية في الحمل والولادة . ولكن الاحصاء قد دل على أن ميل الرحم الى الخلف يحدث بنسبة واحدة في كلتا الحالتين أى اذا قصرت فترة الراحة في الفراش أو اذا طالت ولكنه يكون أقل حدوثا اذا اتبعنا التوسط في الأمر . كما أن بقاء الوالدة في الفراش مدة طويلة يعوق وظيفة بعض الأعضاء كالأمعاء والدورة الدموية والعضلات لا سيما عضلات البطن

فتترهل وتسترخى . وأفضل سبيل هو أن تبقى الوالدة في فراشها نحو ستة أيام أو سبعة . على أن يسمح لها بالحركة في سريرها قبل ذلك . وليكن بدء مغادرتها الفراش الى كرسى واسع مريح في نفس الغرفة ثم يباح المشى تدريجاً بعد ذلك . هذا في الحالات الطبيعية أما في حالات تمزق العجان - وهو أمر كثير الحدوث في الولادة - فينبغى البقاء في السرير ضعف هذه المدة أى الى اليوم العاشر أو الثاني عشر . ثم يكون المشى بالتدريج بعد ذلك - وفي النساء ذوات الترف واليسار أو النساء اللاتي يكثرن الاهتمام بأمر قوامهن يمكن عمل التدليك بعد أسبوع واحد من الولادة . فهو ينشط العضلات كما ينشط الدورة الدموية ويساعد الأمعاء على العمل .

الآلام الرحمية بعد الولادة : هي عبارة عن نوبات مفض رحمة في أسفل البطن تأتي في فترات متقاربة . وهذه الآلام ناشئة عن انقباضات رحمية تؤدي الى صغر حجم الرحم بالتدريج ولهذا فهي مفيدة . لأن الرحم يعود بفضلها الى حجمه الطبيعي كما كان قبل الحمل وليس لها أية عواقب سيئة . أما اذا كانت بالغة الشدة غير محتملة فقد يكون سببها احتباس جزء من المشيمة أو الأغشية داخل الرحم أو تجمع كتلة من الدم المتجمد فيه وهنا يكون الرحم رخوا غير كامل الانقباض فينبغى اعطاء الوالدة أحد مركبات الأرجوتين لكي تساعد على الانقباض فيطرد ما بداخله . أما اذا كان الرحم تام الانقباض فيحسن تهدئة الآلام بالمسكنات الخفيفة كالاسبرين .

الغسل المهبلى بعد الولادة : من دواعى الأسف أن بعض المولدرات لا يزلن الى الآن يزاولن الغسل المهبلى بعد الولادة ابتغاء تنظيف الأعضاء التناسلية الداخلية على حد اعتقادهن ، أو اظهاراً لبالغ اهتمامهن بأمر الوالدة . وهن بذلك انما يعرضن الوالدرات لخطر حمى النفاس ، لأننا لو سلمنا بطهارة السائل الذى يستعمل للغسل في كل حالة - وهو أمر مشكوك فيه - فلا أقل من خطر دفع الجراثيم من المهبل حيث هي موجودة على الدوام الى الرحم حيث يجب أن يكون خاليا تماماً منها . ومتى وصلت هذه الجراثيم الى الرحم فقد بلغت موطنها مثاليا فيه تنمو وفيه تكثر ، ومنه تشب لغزو أعضاء الجسم . فينبغى في الحالات

الطبيعية تجنب الغسل المهبلى بتاتا . والاكتفاء بغسل الأعضاء التناسلية الظاهرة بسائل مطهر أو بمسحها برفق بقطعة من القطن المبلل بهذا السائل مرة واحدة من أعلى الى أسفل كلما دعا الأمر الى ذلك . أما في بعض حالات الولادات العسرة أو التهابات الأعضاء التناسلية فقد يعمل الغسل المهبلى لأغراض أخرى يشير بها الطبيب وهو الذى يقوم به بنفسه - وبعد ثلاثة أسابيع من يوم الولادة لا خوف من الغسل المهبلى لأن عنق الرحم يكون مغلقا لا يسمح للسائل بالتسرب الى الرحم .

القاعدة الذهبية : القاعدة الذهبية بعد الولادة هى أن تزور الوالدة طبيها المولد بعد ثلاثة أسابيع من يوم الولادة . ليتحقق من أن الرحم فى مكانه الطبيعى أى غير مائل الى الخلف . فان كان به هذا الميل الخلقى فهذا هو أنسب الأوقات لتصحيح موضعه وهو ما يزال رخوا يمكن تحريكه فى سهولة بواسطة اليد . والسبب فى ارجاء اصلاح الرحم الى ما بعد الولادة بثلاثة أسابيع هو أن فتحة عنقه تكون قد ضاقت الى ما يقرب من الاغلاق التام فلا يكون هناك خوف من تلوثه بادخال الجراثيم فيه عند اصلاحه . فاذا ما تم للطبيب اصلاح هذا الاثناء وأعاد الرحم الى مكانه الطبيعى فانه يحفظه فى مكانه هذا الجديد بحلقة معوجة صلبة يسميها الأطباء « فرزجة » يتركها فى المهبل الى ما بعد الأربعين الى أن يتم انكماش الرحم وانكماش رباطيه الأماميين فيشداه الى الأمام بصفة دائمة بعد ذلك . أما اذا أهمل اصلاح الرحم الى ما بعد الأربعين فقد فاتت فرصة اصلاحه ولم نغتنمها فيبقى فى مكانه هذا المعيب لا يزعجه عنه الا ولادة أخرى أو اجراء جراحى يقتضى فتح البطن لتقصير رباطيه الأماميين . ورب سائل يقول وما سر هذا الاهتمام البالغ بموضع الرحم من الجسم ؟ وفى الجواب نقول انه فى ميله الى الخلف يسبب كثيرا من العوارض مثل ألم الظهر والرجلين واختلال فى دورة الحيض . وعوارض عصبية وهضمية مختلفة . هذا فضلا عن انه يجعل الأمل فى حدوث الحمل بعد ذلك محدودا . فالخير كل الخير فى اتقاء هذا الميل باتباع هذه القاعدة البسيطة وهى أن تتأكد من استواء الرحم فى موضعه فى الوقت الذى يمكن فيه اصلاحه ان كان به سرج .

٦ - على هامش الاجهاض

موضوع حديثنا اليوم نظرة عابرة في الاجهاض : وتكاد مشكلة الاجهاض تكون أهم ما يعرض للمجتمع الآن من الوجهتين : التشريعية والدينية . فمن الناحية التشريعية يرى القانون أن ليس للمرأة أن تتخلص من حملها الا أن يكون في استمرار هذا الحمل خطر على حياتها . لأن الجنين الذى تحمله المرأة ملك للدولة . وما الأرحام الا مصانع لانتاج البنين والبنات لا مناص للدولة من الاشراف عليها وعلى حسن أدائها لهذا الانتاج . وأما من الناحية الدينية فان الشرائع على اختلافها وتعددتها تحرم الاجهاض لأنها تعده بمثابة قتل للنفس . ولأن في اباحته حدا من التناسل الذى تخض عليه هذه الشرائع . وان مجال البحث في موضوع اباحة الاجهاض أو تحريمه لواسع كثير المسالك . ففى اباحته تعرض لنقص فى الأتفس قد يكون خطرا على الأمة فى تعدادها وقوتها وما تبتغيه فى المحيط الدولى من العزة والمنعة . كما أن فى تحريمه خطر مزاولته سرا بطرائق ضارة تفضى الى الموت مرة ، والى الالتهابات المزمنة بالجهاز التناسلى مرات . ومشكلة أخرى لا بد لنا من مواجهتها عند تحريم الاجهاض . تلك هى مشكلة الطفل غير الشرعى ماذا تفعل به . وكيف نكفل له تربية حسنة كريمة ، وليس من غرضى هنا أن آعرض لبحث هذه النواحي من الاجهاض . وسأقصر الكلام على الاجهاض من الناحية الطبية فحسب . وأكتفى بتوجيه اهتمام الرأى العام والسلطات المسئولة الى النظر فى هذه المشاكل - مشاكل الاجهاض وتحديد النسل - التى يزداد خطرهما يوما بعد يوم فى عصرنا هذا عصر المدنية الحديثة اذ أصبحت

فيه العناية بأمر الأطفال والقيام على تربيتهم عبئا ثقيلا على كثير من الأسر .

وأنه ليكفى للتدليل على أهمية بحث موضوع الاجهاض أن أذكر أن الاحصاء قد أثبت أن من كل خمس حالات من الحمل تنتهى واحدة بالاجهاض . أى أن ٢٠٪ من جميع حالات الحمل تنتهى بالاجهاض . هذا فضلا عن الحالات الكثيرة من الاجهاض التى تم سرا لا يستطيع الاحصاء أن يشملها . ومن المرجح أن نحو ثلث حالات الحمل تنتهى بالاجهاض .

والاجهاض طبيعى وجنائى وعلاجى : فالطبيعى هو ما يحدث من تلقاء نفسه دون محاولة احداثه . والجنائى هو ما يحدث من محاولة التخلص من الحمل بوساطة اجراء جراحى أو بوساطة العقاقير . والعلاجى هو الذى يشير به الطبيب حرصا على سلامة الحامل ويقوم باجرائه .

الاجهاض الطبيعى

والآن أتحدث فى ايجاز عن بعض ما يتعلق بالاجهاض الطبيعى أى الذى يحدث دون محاولة احداثه . وأود أن ألفت الأنظار الى أن من النساء من يعتقدن انهن أجهضن لمجرد أن الحيض قد تأخر قليلا عن ميعاده أى نحو خمسة أيام أو عشرة بعد هذا الميعاد . بل أن منهن من تؤكد انها ترى الجنين فعلا فى كل مرة ضمن ما يخرج من الرحم من الدم بعد تأخر الحيض . وحقيقة الأمر فى مثل هذه الحالات أن الحيض يكون قد جاء متأخرا واصطحب نزوله بجزء متأسك من الغشاء البطن للرحم مستطيل الشكل لا يذوب فى الماء كما يذوب الدم فيبدو لمن يراه كأنه جنين . كما أن هناك نوعا من الحيض مصطحبا بألم شديد يخرج فيه غشاء الرحم كاملا غير متفتت كل شهر ، مثل الشكل أبيض اللون ، وهو

أمر معروف للأطباء اسمه « عسر الحيض الغشائي » . وهذا بدهاءة
لبس باجهاض .

ومن أسباب الاجهاض ماهو تافه لا تفتن اليه المرأة كالامساك مثلا .
فقد يكون الامساك سببا في الاجهاض لما يحدثه المستقيم من الضغط
على الرحم . ولما يحدثه الامساك من احتقان بالأعضاء التناسلية بصفة
عامة . وكذلك المجهود اليسير في بعض النساء كرفع جسم ثقيل .
أو انزلاق الرجل على سطح أملس . أو ضربة خفيفة على البطن وهكذا .
والواقع أن استعداد الرحم لحمل الجنين والاحتفاظ به أمر فردى أى أنه
يختلف باختلاف النساء . فمنهن من اذا زلت قدمها أثناء مسيرها أصابها
الاجهاض . ومنهن من اذا سقطت من شرفة مسكنها العالى الى الأرض
فأصابها كسور في عظامها بقى حملها سالما واستمر نموه طبيعيا الى نهايته .
ومن هنا تظهر لنا في وضوح أهمية استشارة الطبيب بمجرد الاشتباه في وجود
الحمل فرما استطاع أن يحول دون حدوث الاجهاض بنصيحة صغيرة اذا
تبين أحد هذه الأسباب التافهة من أول الأمر .

ومن أسباب الاجهاض ما يكون معه هذا الاجهاض نعمة وبركة
أراد الله بهما الخير لجسم الحامل ، ومن أمثلة ذلك : الحميات الحادة وأمراض
القلب والصدر والكليتين والبول السكرى . والسبب المباشر في حدوث
الاجهاض هنا هو أن الدم الذى يذهب لتغذية الجنين اما أن يكون
غير صالح في نوعه أو غير كاف في مقداره . أو ان يحدث ما يجرى الرحم
على الانقباض فيطرد الجنين ، وعلى هذا فالاجهاض في مثل هذه الحالات
اجراء وقائى في صالح الحامل لأن جسمها المعتل لا يكون على حال من
الصحة يقدر معه على تحمل متاعب الحمل ومشقة الولادة .

على ان أهم سبب للاجهاض هو عيب خلقى كائن في الجنين منذ بدء

تكوينه . وان الله في بديع حكمته قد أوحى الى الطبيعة أن تتخلص من هذه الأجنة المعيبة قبل أن يتكامل نموها فتخرج الى هذه الحياة الدنيا مشوهة غير صالحة للحياة . وهو تبارك وتعالى في واسع رحمته ولطيف قضاائه لا يرضى للحامل أن تلد مولودا ناقص التكوين أو مبتور الأطراف أو مفقود الرأس أو العين . وفقا بالوالدين أن يولد لهما أمثال هذه المخلوقات المسيخة المشوهة الخلق . مثل ذلك كمثل المصنع ذى السمعة الطيبة لا يرضى أن يكون ضمن انتاجه سلعة سقيمة معوجة فيتلفها قبل أن تخرج منه للتداول في الأسواق .

كيف يحدث الإجهاض

الإجهاض في جوهره ولادة مصغرة . أى ان عضلات الرحم تأخذ في الانقباض لكي تفتح عنق الرحم شيئا فشيئا حتى يصير اتساعها كافيا لمرور الجنين . ثم يأخذ الرحم في دفع الجنين لكي يجتاز عنق الرحم الى الخارج ، فاذا ما تم للرحم ذلك أخذ في الانكماش والصرغ حتى يعود الى حجمه الطبيعي أى الذى كان عليه قبل أن يحدث الحمل . ويستغرق ذلك من الوقت أقل مما يحدث بعد الولادة ، أى أقل من أربعين يوما . ويختلف الإجهاض عن الولادة في أنه يكون مصحوبا بنزول دم منذ أوله ويستمر نزول هذا الدم الى أن ينتهى الإجهاض . وقد يكون مقدار هذا الدم غزيرا على هيئة نرف . وأحيانا يكون بالغ الشدة مما يدعو الى القلق على حياة الحامل اذا لم تتداركها بالعلاج السريع . أما مقدار الألم الذى يصاحب الإجهاض فهو عادة أقل مما يحدث في الولادة . وفي الإجهاض قد يخرج جزء من الجنين ويبقى جزؤه الآخر في الرحم مما لا يحدث في الولادة . ولهذا ينبغى التحقق من أن الرحم قد أصبح فارغا تماما بعد الإجهاض . لأن احتباس أى جزء من الجنين أو من أغشيته داخل الرحم بسبب استمرار النزف وتبقى عنق

الرحم مفتوحة فيتعرض الجزء المحتبس للتعفن وتنمو عليه الجراثيم فتصاب الحامل بحمى بالغة الخطر كحمى النفاس تماما . وينبغي كذلك بعد الاجهاض أن نراعى أقصى ما نستطيع من قواعد التطهير والتعقيم كما سبق أن نوهنا به في حديث سابق عن النفاس . وأن تتجنب الفسل المهلبى الى أن تعود فتحة الرحم الى حالتها الطبيعية أى تصير تامة الاغلاق . وقد يعجز الرحم فى بعض الحالات عن اتمام الاجهاض فيبقى الجنين كله أو بعضه داخله عدة أيام . وقد يدعو الأمر الى تدخل الطبيب لكى يستخرج الجنين من الرحم باجراء جراحى ، ويكون هذا التدخل ضروريا اذا كان هناك نزف يخشى منه على صحة الحامل أو اذا أخذت حرارتها فى الارتفاع مما يشير الى تعفن الجنين وتلوث الرحم بالجراثيم ، أو اذا خاب أملنا فى قدرة الرحم على اتمام الاجهاض من تلقاء نفسه .

ويجدر بالحامل ألا تلقى بالا الى التفكير فى سبب اجهاضها وقت حدوثه . وليكن ذلك بعد أن تعود الأعضاء التناسلية الى حالتها الطبيعية . أى بعد نحو ثلاثة أسابيع أو أربعة . حين تذهب الى طبييها لتعرف السبب الذى أدى الى الاجهاض . وسيكون هذا موضوع حديثنا المقبل ان شاء الله .

٧- أسباب الاجهاض

أسباب الاجهاض اما عامة أو موضعية • والمقصود بكلمة موضعية أن السبب كائن في الأعضاء التناسلية بحيث اذا ما توليناه بالعلاج الملائم فان الحمل يستمر الى نهايته والأسباب العامة كثيرة لا يمكن سردها جميعا في حديث قصير كهذا ، ولكني أجملها اجمالا بغير تفصيل مكتفيا بذكر أكثرها أهمية • فمنها ما هو خير وبركة على جسم الحامل كما سبق أن أشرت اليه في حديثي الماضى • كالحميات الشديدة وأمراض القلب والصدر والبول السكرى • وهنا ينشأ الاجهاض من نقص فى كمية الدم الذى يصل الى الجنين أو من نقص فى نوعه وقد يكون مجرد ارتفاع درجة الحرارة كما يحدث فى الحميات سببا فى تحريض الرحم على الانقباض فيطرد الجنين • وقد يكون السبب هذه المواد السامة التى يكون الجسم مثقلا بها فى الحميات فيحملها الدم الى الجنين فتقتله فيحدث الاجهاض نتيجة لذلك •

ومن الأسباب العامة ما هو تافه لا تقطن اليه الحامل أو لا تستطيع أن تتجنبه كرفع جسم ثقيل أو مزاوله رياضة عنيفة • أو انزلاق الرجل فى أثناء المشى ، أو اضطراب عصبى ، أو مؤثر نفسى شديد كالحزن أو الغضب ، أو صدمة عاطفية • وانى لأعرف حاملا كان يصيبها الاجهاض فى ميعاد ثابت كل مرة • لأنها كانت لشدة خوفها الاجهاض ترى فى نومها كأنها اجهضت فيحدث الاجهاض فعلا فى صباح اليوم التالى • وهذا يبين لنا ما يمكن أن تفعله المؤثرات النفسية فى الحمل • ولا غرو بعد ذلك اذا علمنا أن الأم الرشيدة تستعين بالموسيقى وبالصور الجميلة فى مراكز رعاية الطفولة للترفيه عن الحوامل المترددات على هذه المراكز صرفا اللهم عنهن ومجلبة للسرور اليهن •

ومن الأسباب ما يتصل بنوع الغذاء الذى تتناوله الحامل • فقد

يكون الغذاء معييا متقوصا من احدى نواحيه . فالحامل تحتاج الى مقادير كافية من الأملاح المعدنية كأملح الجير والفوسفور . والى مقادير كافية كذلك من الفيتامينات ولاسيما ما نسميه فيتامين (E) أو الفيتامين الخامس لضمان استمرار نمو الجنين .

ومن الأسباب ما يتصل بوظائف الغدد الداخلية وهي ما نسميها « الغدد الصماء » أى الغدد التى ليست ذوات قنوات تسير فيها افرازاتها . ولكنها تبعث بافرازاتها هذه فى دوام وبطء الى الدم مباشرة بطريقة يمكن تشبيهها بالارتشاح . والمعروف أن النقص فى وظائف بعض هذه الغدد الصماء قد يسبب الاجهاض . كالغدة النخامية وهى غدة مكانها فى قاع الجمجمة . والمبيضين ومكانهما فى أسفل البطن . والغدة الدرقية ومكانها فى أسفل الرقبة ، والعلاج الملائم فى هذه الحالات يكون بداهة باعطاء الجسم من افراز هذه الغدد ما يعوضه عن هذا النقص .

أما الزهري فكم له من مآسى وكوارث أثناء الحمل . على أنه داء ماكر طويل الأناة . فهو يصبر على ضحاياه حتى يبلغ الحمل نصفه الثانى أى بعد الشهر الرابع . ثم تفعل سمومه فعلها فى الجنين فيموت ويحدث الاجهاض . وهنا ألفت نظر المستمعات الى أنه لا داعى لاتهام الزهري أو الاشتباه فيه عندما يحدث الاجهاض مبكرا أى فى الثلاثة الأشهر الأولى من الحمل ولا داعى للبحث عنه فى دم الزوجين لما يتطلبه ذلك من نفقة ومشقة . وينبغى فى مثل هذه الحالات أن نوجه اهتمامنا الى البحث عن سبب آخر يفسر لنا هذا الاجهاض المبكر . أما الاجهاض المتأخر فمن أهم أسبابه الزهري . وهنا ينبغى فحص دم الزوجين فى عناية ودقة اذ قد يكون الزهري كامنا متخفيا فى أحدهما . وفى الزهري قد يولد الجنين حيا ولكنه يموت فى الأشهر الأولى بعد ذلك من نزلات صدرية أو معوية . وفى هذه الحالات لا بد من علاج الزوجين قبل أن يحدث حمل آخر . ثم متابعة ذلك بعلاج الحامل مدة الحمل كله . لأن العلاج هنا موجه الى الجنين وانسجته فى أدوار نموها عن طريق أمه لكى تكفل له السلامة من شر هذا الداء الوييل .

ومن الأسباب العامة للاجهاض المتأخر سبب كشف عنه العلم منذ سنوات قليلة . أمره من أعجب العجب . ذلك أنه قد ثبت أن دم الانسان على نوعين من حيث احتوائه على مادة خاصة أو خلوه منها . وهى مادة أطلق عليها العلماء اسم (عنصر ال Rh .) . وأن نحو ٨٥٪ من الناس يحتوى دمهم على هذه المادة و ١٥٪ دمهم خال منها . وهذا يشمل الذكور والانات على السواء . فاذا كان الزوجان من نوع واحد أى كان دمهما حاويا هذه المادة أو خاليا منها كان الجنين من نفس النوع فلا يناله سوء أثناء الحمل . أما ان كانا مختلفين بأن كان دم الزوج محتويا على هذه المادة ودم الزوجة خاليا منها فان الجنين ينشأ مماثلا فى دمه لأبيه فيكون مختلفا عن دم أمه . فيحدث من هذا الاختلاف أن يتكون فى دم الأم عنصر مضاد لدم الجنين يقضى على كرياتة الحمراء فيموت الجنين قبل أن يولد وتجهضه أمه . وكلما تكرر الحمل بعد ذلك كانت النتيجة أسوأ . لأن هذا العنصر المضاد الذى يتكون فى دم الأم يزداد فى كل مرة ويتراكم فيكون أشد فتكا بكريات الجنين الحمراء . فيحدث الاجهاض مبكرا فى كل مرة عن المرة التى سبقتها . أما علاج هذه الحالة العجيبة فلا يزال فى دور البحث لم يستكمله العلم بعد ، ولقد كانت هذه الحالات تعالج الى وقت قريب على أنها حالات من الزهري المختفى . وكانت نتيجة العلاج بطبيعة الحال غير مرضية .

أما الأسباب الموضوعية للاجهاض فهى كثيرة غاية الكثرة كذلك . وسأكتفى هنا بذكر أكثرها أهمية .

فالالتهابات الرحمية المزمنة من أهم أسباب الاجهاض ولاسيما فى أشهر الحمل الأولى ، لأن غشاء الرحم الملتهب يصبح تربة غير صالحة لتغذية الجنين ونموه ، وينشأ الالتهاب الرحمى إما عن اصابة بالسيلان طال أمدها فأزمنت . أو عن مزاولة الاجهاض فى مرات سابقة . أو عن ولادة سابقة أعقبتها حمى النفاس . والعلاج المناسب هنا هو استئصال هذا الغشاء بما نسميه « عملية الكحت » لكى تتيح للرحم أن يتكون له غشاء جديد صالح لبقاء الحمل فيه .

ومن الأسباب الموضوعية تمزقات عنق الرحم . فهى تجعل الرحم غير محكم الاغلاق مدة الحمل وبقاء الرحم مفلق العنق شرط أساسى لاحتفاظه

بالحمل الى نهايته . وعلاج هذه التمزقات يكون بأجراء جراحی
لاصلاحها .

وميل الرحم الى الخلف كثيرا ما يسبب الأجهاض المبكر أى فى الثلاثة
الأشهر الأولى . ذلك لأن الرحم اذا كان وضعه طبيعيا أى مائلا الى
الأمام عندما يبدأ الحمل فانه يستطيع فى سهولة أن يخرج من تجويف
الحوض ويرتفع الى فراغ البطن الواسع الفسيح حيث يستمر نموه الى
نهاية الحمل بغير ما ضغط على جدرانه . أما اذا كان وضعه معوجا أى
مائلا الى الخلف فقد يعجز عن الارتفاع الى البطن فيبقى فى مأزقه هذا
الضيق لا يستطيع النهوض منه . وكلما ازداد حجمه بالحمل ازدادت
حاله سوءا فى هذا الحوض الضيق فيتعرض للاجهاض من شدة ما يعانیه
من الضغط . وقبل حدوث الاجهاض تشكو الحامل عوارض بولية نظرا
لضغط الرحم على المثانة ومجرى البول . وهى عوارض ينبغى أن تسترعى
العناية الفائقة . أولها ازدياد فى عدد مرات التبول . يعقبه ألم أثناء التبول .
ثم احتباس بولى يدعو الى القلق أحيانا . وآخرها احتباس بولى
مصحوب بما يسميه الأطباء « سلس البول » ، أى تبقى المثانة ممتلئة
بالبول ولا يخرج منها الا ما يفيض عن سعتها بغير ارادة المريض . ولعل
المستمعات مازلن يذكرن النصيحة الذهبية التى نوهنا عنها فى حديث
سابق عن النفاس . وهى أن تزور الوالدة طبيبها بعد ثلاثة أسابيع من يوم
الولادة . لكى يتحقق من أن الرحم ليس به ميل الى الخلف . فان كشف
وجود هذا الميل قام باصلاحه آتئذ لكى لا تتعرض الوالدة فيما بعد
للاجهاض الذى نحن بصددده الآن .

ومن أسباب الاجهاض كذلك الأورام الليفية بالرحم . وهذه الأورام
تعوق حدوث الحمل فى الغالبية العظمى من الحالات . فاذا ما حدث
الحمل فانما ينتهى عادة بالاجهاض لأن هذه الأورام تزحم فراغ الرحم
فلا يبقى به متسع للحمل .

وأكياس المبيض وأورامه تعوق الحمل كذلك . فان حدث الحمل
فانه ينتهى بالاجهاض فى أغلب الحالات لما تحدثه هذه الأكياس
من الضغط على الرحم من الخارج فلا يستطيع النمو والارتفاع فى البطن .
هذه أهم أسباب الاجهاض ذكرناها مبسطة فى ايجاز شديد . وسيكون
موضوع حديثنا المقبل باذن الله الاجهاض الجنائى والاجهاض العلاجى .

٨ - الإجهاض الجنائى والإجهاض العلاجي

الإجهاض الجنائى هو أن تلجأ الحامل الى الإجهاض اما بنفسها أو بواسطة غيرها . سواء أكان الحمل مشروعاً أم غير مشروع . وتختلف الطرائق المستعملة لاجداث الإجهاض باختلاف ظروف الحامل . ولكنها فى أغلب الأحوال شديدة الخطر على صحتها وقد تكون شديدة الخطر على حياتها . وكم من حبلى بذلت حياتها ثمناً لما حسبته أمراً يسيراً أقدمت عليه فى استخفاف وجرأة . وكم من حبلى أصبحت حليفة لالتهابات بالجهاز التناسلى طال ازمانها سنين طويلة . وأعقت ما أعقت من المضاعفات والعلل - ومن الحق أن نقول ان من آتجمع الوسائل لمحاربة الإجهاض الجنائى وما يتبعه من بلاء وشر تحديد النسل بالوسائل العلمية المشروعة . وان كانت بعض الهيئات الدينية لا تزال تعارض فيه . ولقد بلغ من تقدير بعض الأمم المستنيرة لأخطار الإجهاض الجنائى أن انتهجت سنة اباحة الإجهاض لكل حبلى لا تريد استمرار حملها فى مستشفيات خاصة تنفق عليها الدولة لكى تضمن اجراء الإجهاض حسب الأصول الطبية . ولكى تتخلص من الأولاد غير الشرعيين . وانى اذ أقول هذا فانما أقوله لا لأنى أجذ اتباع هذا النهج أو أتحمس له ولكن لأدل على خطر الإجهاض الجنائى . ولست فى حاجة الى أن أقول ان تشريعنا فى مصر لا يبيح اجهاض الحوامل الا أن يكون ذلك اجهاضاً علاجياً أى محافظة على صحة الحامل .

وأول الطرائق لاجداث الإجهاض الجنائى تعاطى العقاقير . وان منها ما هو مشهور معروف للناس ولكنها كلها سامة عظيمة الضرر اذا ما استعملت بمقادير يمكن أن تحدث الإجهاض . بل انها فى أغلب الأحوال تورد الجسم موارد التلف والهلاك دون أن يصيب الحمل سوء . ومن هذه الطرائق الاعتماد على العنف فى اجداث الإجهاض . كالضرب

على البطن أو الضغط عليها بحجر أو غير ذلك من الوسائل الوحشية التي يلجأ إليها بعض الجهال من العامة . وانا لنسمع عن جرائم تعذيبية يرتكبها بعض غلاظ القلوب من الآباء أو الأخوة حين تدفعهم ثورة الغضب للشرف أو خشية العار الى ارتكاب جرائمهم هذه المنكرة . وياليتها تجديهم نفعاً أو تبلغ بهم غايتهم .

ومن الطرائق ادخال أجسام غريبة الى الرحم لكي تفتح عنقه وتهيج عضلاته فتقبض فتطرد الجنين . وللنساء في هذا الباب أفانين وأعاجيب . كنعلهن في اختيار الأزياء والقبعات ، فمنها الأجسام الصلبة ، المدبب منها والمقوس والمعوج . ومنها الأجسام الرخوة من أعواد النبات وابر التطريز ، وهذه الطريقة أدهى وأمر مما سبق ذكره . فهي اذا ما أفلحت في احداث الاجهاض وهو أمر مشكوك فيه . فانها محققة الضرر لأنها تدخل الجرائم دائما الى الرحم فتعقب ذلك سلسلة من المصائب منها : حمى النفاس . والالتهاب البريتوني الحاد . والالتهابات المزمنة بالبوقين والمبيضين ، وغير ذلك مما لا يمكن تفصيله في حديث كهذا . ولا عبرة بما يتوهمه البعض من امكان اتقاء هذه الأخطار بنظهير هذه الأجسام أو تعقيمها قبل استعمالها . فانها تلوث دائما بالجراثيم أثناء مرورها في قناة المهبل ، هذا فضلا عما تحدثه هذه الأجسام أحيانا من ثقبوب بالرحم أو تمزقات بعنقه مما يؤدي الى أسوأ العواقب . ولقد رأيت نساء في صباهن الباكر نفذت بعض أمعائهن من خلال هذه الثقبوب الرحمية فتسربت الى المهبل وانتهى أمرهن الى الموت .

ولنضرب مثل الزوجين تصح عزيمنتها على الاجهاض خشية كثرة العيال ، وما يقتضيها ذلك من كثرة النفقة ، فبلجان الى احدى هذه الوسائل الضارة . فتصاب الزوج بالتهابات تورثها من العلل والأمراض ما تنفق في سبيل الشفاء منه من المال والوقت والألم ما يربو على ما قدره هذان الزوجان من مؤنة النفقة على ذلك الطفل غير المرغوب فيه . ومن يدري فلعل خيرا كثيرا كان سيجرى على يدى ذلك الولد لأبويه ولأمته .

وهناك الزوج تلجأ الى الاجهاض لكثرة ما لديها من الولد • وكفى بهم عونا على المستقبل • وعدة على نواب الدهر • ثم تعلق بها السن واذا بأبنائها ثلاثهم أو أربعهم قد حصدهم جميعا وباء كوباء الكوليرا أو التيفوس أو الحمى الراجعة •

وهناك الزوج تلجأ الى الاجهاض خوف مشقة الحمل وآلام الولادة ومشغلة الرضاعة • ألا فتعلم هذه الزوج ان آلام الاجهاض وما يصاحبها من نرف واضطراب وقلق ليست بأقل من تعب الولادة والرضاعة • والاجهاض على كل حال جهد بغير ثمرة • وعمل ينتهي الى اخفاق •

وهناك الزوج تلجأ الى الاجهاض المرة بعد المرة • لأنها لا تريد ولدا آتئذ • أو لأنها تريد ولدا كل خمس سنوات مثلا • كأنما أمر النسل قد ألتى زمامه اليها من دون الله سبحانه وتعالى • أو كأنما أمر الحصول على الولد سهل ميسر كالحصول على ثوب تبتاعه من أحد متاجر الأزياء • وخير لهذه الزوج أن تعلم أن العقم مدى الحياة واحد من النتائج التي قد تترتب على الاجهاض • فاذا ما حان الوقت الذي تشتهي فيه أن تنجب الولد وتتحرق شوقا اليه اذا هي عاقر عقيم • فتقاسى من مرارة الحرمان بما أسرفت في التجنى على نعمة الله في السنين الخالية •

الاجهاض العلاجي

الاجهاض العلاجي هو اجهاض ينصح به الطبيب ويقوم باجرائه لمسوغ طبي يمنع الحامل من استمرار حملها الى نهايته • والذي يدعو الى الاجهاض العلاجي هو أن تتعرض حياة الحامل للخطر أو أن يزداد مرضها شدة أثناء الحمل • وفي هذه الحالات ينبغي اجراء الاجهاض بغير ابطاء ابقاء على صحة الحامل من التلف • وأبادر هنا فأقول ان الحوامل في الغالبية العظمى من الأحوال قادرات على القيام بأعباء الحمل والولادة في سلام وطمأنينة • رغم ما يبدو لبعضهن من عدم استطاعتهن الاستمرار في الحمل لما يسمينه الضعف العام أو فقر الدم أو ما شابه ذلك • والحقيقة

أن الأمراض التي تسوغ اجراء الاجهاض محدودة قليلة . يمكن تلخيصها فيما يأتى :

أمراض القلب : كان الرأي السائد فى أمراض القلب الا يسمح للبتن بالزواج . ولا للمتزوجة بالحمل . ولا للحامل باستمرار حملها . وعلى هذا رأى كان لا بد من اجهاض الحبل ان كانت مريضة القلب . ولكن رأى الحديث قد أثبت فساد هذه القاعدة على ضوء المشاهدات والاحصاء . فللبتن أن تتزوج . وللزوج أن تحمل . وللحامل أن تلد . ما دام القلب « متكافئا » كما يعبر عنه الأطباء . والمقصود من هذا التعبير أن يكون القلب رغم ما به من مرض كهو الأداء وظيفته لسد حاجة الجسم فى ظروفه العادية . وبعبارة أخرى لا تشكو المريضة عوارض تدل على عدم كفاية القلب ، وهى عوارض معروفة ، منها تورم الأطراف وزرقتها . والتعب الشديد عند القيام بالجهد البسيط . واسراع التنفس . فاذا ظهر على القلب أنه غير قادر على النهوض بوظيفته وجب اجراء الاجهاض فى الأشهر الثلاثة الأولى من الحبل ، لأن الاجهاض فى الأشهر المتأخرة يكاد يبلغ ما تبلغه الولادة نفسها من ارهاق لجسم الحامل .

وأمرض الصدر والبول السكرى وغيرها من الأمراض العامة المزمنة يكون الحكم فيها بحسب درجة تقدمها وشدة وطأتها على الجسم . وهذا بداهة متروك أمره لرأى الطبيب المختص .

وأما الأمراض المزمنة بالكليتين فانها تتعارض تماما مع الحمل . وينبغى فى هذه الحالات معرفة مقدار كفايتهما وكمية البول فى اليوم ووجود الزلال به وكمية هذا الزلال . وأمراض الكليتين تقتضى من الطبيب عناية خاصة . فهو يضع للحامل نظاما دقيقا للطعام والشراب ثم يراقبها مراقبة تامة ليرى ان كانت تستطيع الاستمرار فى الحمل . أو متى يدق ناقوس الخطر فيقوم باجهاضها .

وقىء الحمل التسمى : نادر فى الحوامل لحسن الحظ اذ أن معظم حالات قىء الحمل من نوع لا خوف منه على صحة الحامل . وللطبيب

علاماته ووسائله في معرفة هذا القيء التسمي وانه ليهتدى بالنبض وكية البول • ومقدار ما به من الزلال • ودرجة الهزال الذي أصاب الجسم ودرجة قيام الكبد بوظيفتها • وهنا ينبغي الاسراع في اجهاض الحامل قبل فوات الأوان • أي قبل أن تشرف على الهلاك •

وهناك أمراض أخرى يكون أمر الاجهاض فيها موضع نظر • أي انها قد تسوغ الاجهاض ولكنها لا تحتمه • وهنا ينبغي أن يكون أمر الفصل فيها الى رأى طبيين اثنين حتى يكون حكمهما أدنى الى الصواب • ومن أمثلة هذه الأمراض : الفتق السرى الكبير الحجم ، وضعف البنية الشديده والأمراض العقلية •

وبهذا تنتهي سلسلة أحاديثنا هذه عن الحمل والولادة والاجهاض •

فهرس

صفحة	
٣	تقديم
٧	ويسألونك عن الحيض قل هو أذى
١٣	ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى
١٨	المرأة بعد الأربعين
٢٣	العقم في الرجال والنساء
٣٠	عسر الحيض
٣٦	التحكم في الحمل - دواعيه ووسائله
٤١	يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
٤٦	الحامل - ماأكلها ، وملبسها ، ورياضتها
٥٠	الحامل . القناة الهضمية . البول . الثديان
٥٥	اقتربت الساعة ، أو في انتظار الحادث السعيد
٦٠	قرة العين ، أو ساعة الميلاد
٦٥	ولعد أن آنجبت
٦٩	على هامش الاجهاض
٧٤	أسباب الاجهاض
٧٨	الاجهاض الجنائي والاجهاض العلاجي